مختصر

السنة النبوية وحي

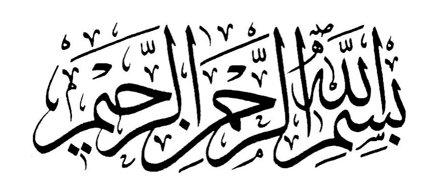
الطبعة الثانية
١٤٢٥ هـ

مختصر

السُّنَّة النَّبَوِيَّة وَحْي

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾

بقلم
أ.د. خليل إبراهيم مُلّا خاطر العزّامي
أستاذ الحديث وعلومه
بجامعة طيبة بالمدينة المنورة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم لا علمَ لنا إلا ما علَّمتَنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتَنا ، وزدنا علماً .

اللهم لا سهل إلا ما جعلتَه سهلاً ، وأنت تجعلُ الحَزْنَ إذا شئتَ سهلاً ، فيسِّر لنا أمورَنا ، واختم لنا بالسعادة ، إنك على كل شيء قدير .

أما بعد :

فقد جعل الله تعالى معجزةَ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم الوحيَ ، ذلك أن الله تعالى أعطى كلَّ نبيٍّ من أنبيائه عليهم السلام آيةً يُعرف بها ، وتدل على نبوته ، وصدقه ، ولكن كل تلك الآيات أو المعجزات كانت آنيَّةً وقتيَّةً ، زال أثرها بزوال وقتها ، وبموت من حضرها ، وقد أَعطى الله سبحانه وتعالى نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من تلكم المعجزات والخوارق ،... الشيءَ الكثير ، فهو أكثر واحد فيهم أُعطي ، ولكن معجزتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم التي بقيت بعده ، واستمر عطاؤها إلى زماننا ، وسيبقى إلى قيام الساعة : هي الوحي .

وقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هذه الآيةَ الكريمةَ التي خصَّه الله تعالى بها دون سائر الأنبياء عليهم السلام .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما مِن الأنبياء نبي إلا أُعطي مِن الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُتيتُه وحياً أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة ». متفق عليه[1].

لهذا طلب الله تعالى منه صلى الله عليه وآله وسلَّم أن ينذر به .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾[2].

كما بيَّن صلى الله عليه وآله وسلَّم هذا الوحيَ الذي أُعطيه ، حيث أُعطي القرآنَ الكريمَ وآخرَ مثلَه ـ وهو السنة النبوية الشريفةَ ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كما في حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله تعالى عنه ـ : « ...ألا إني أُعطيتُ القرآنَ ومثلَه معه ،... ». رواه أحمد وأبو داود والطحاوي والآجري والدارقطني والبغوي وابن حبان في آخرين[3]. ورواه آخرون بلفظ قريب .

ومن خلال الآية الكريمة والحديثين الشريفين يتضح أن رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب كيف نزل الوحي ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى جميع الناس ، رقم (٢٣٩).

(٢) سورة الأنبياء (٤٥).

(٣) مسند أحمد (٤ : ١٣٠ – ١٣١) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في لزوم السنة ، رقم (٤٦٠٤) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٨٧) وصحيح ابن حبان (١ : ١٨٩ رقم ١٢) وشرح معاني الآثار (٤ : ٢٠٩) والشريعة (١ : ٤١٥ – ٤١٦) وشرح السنة (١ : ٢٠١) والمعجم الكبير (٢٠ : ٢٨٣) ومسند الشاميين (٢ : ١٣٧) (٣ : ١٠٣) والتمهيد (١ : ١٤٩ – ١٥٠) وذم الكلام (٢ : ١٣٤ – ١٣٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٣٣٢) ودلائل النبوة (٦ : ٥٤٩) والفقيه والمتفقه (١ : ٨٩).

عليه وآله وسلَّم قد أعطاه الله سبحانه وتعالى وحيين ، هما : وحي القرآن الكريم ، ووحي السنة النبوية الشريفة . لكن مع وجود الفارق بينهما ، فالقرآن الكريم : وحيٌ متلُوٌّ معجِزٌ متعبَّدٌ بتلاوته ،... وأما السنة النبوية : فهي وحيٌ غيرُ متلُوٍّ ولا معجز ولا متعبَّد بتلاوته ،...إلخ الفوارق[١].

والقرآنُ الكريمُ خاتمةُ الكتب ، وهو وحيٌ من الله جل وعز ، لأنه كلامه جل شأنه ؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد تكفَّل الله سبحانه وتعالى بذلك . والنبيُّ المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ والرسولُ من مرسِله ، لأنه يبلِّغ عنه ما يريد ـ والرسالةُ التي يؤتاها قد تكون مختومةً ليس له إلا تبليغها بعبارتها ولفظها ، وقد تكون شفاهاً يبلغها بعبارته ، لأنه مؤتمن . لذا فما كان من القسم الأول فهو : وحيُ القرآن ، وما كان من القسم الثاني فهو : وحيُ السنة ، والله تعالى أعلم .

وهذا ما دلت عليه الآياتُ القرآنيةُ الكريمةُ ، والأحاديثُ النبويةُ الشريفةُ ، ودلائلُ النبوة ، واتفقت كلمةُ العلماء رحمهم الله تعالى عليه . وهو أن ما نطق به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : هو وحيٌ ـ لكنه غيرُ مَتْلُوٍّ ، ولا مُعجِز ـ أوحاه الله سبحانه وتعالى إليه .

قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى[٢] ـ وقد سئل عن الوحي ـ : الوحيُ ما يُوحي الله إلى نبي من الأنبياء ، فيثبتُه في قلبه ، فيتكلم به ، ويكتبه ، وهو كلام الله ،

---

(١) انظر : (السنة النبوية وحي) وَ (نشأة علوم الحديث) حيث ذكرت فيهما أنواع الوحي وأقسامه ومظاهره ، والفرق بين نوعَي الوحي ؛ وحي القرآن ، ووحي السنة .

(٢) انظر : الإتقان (١ : ٤٤).

ومنه ما لا يتكلم به ، ولا يكتبه لأحد ، ولا يأمر بكتابته ، لكنه يحدِّث به الناسَ حديثاً ، ويبين لهم أن الله أمره أن يبيِّنه للناس ، ويبلغهم إياه.اهـ.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[1] : ما فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً قط إلا بوحي ، فمن الوحي ما يُتلى ، ومنه ما يكون وحياً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ فيستن به ـ ثم ذكر حديثَ المطلب بن حنطب رضي الله عنه ، عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما تركتُ شيئاً مما أمركم الله به : إلا وقد أمرتُكم به ، ولا شيئاً مما نهاكم عنه : إلا وقد نهيتُكم عنه ، وإن الروحَ الأمينَ قد أَلقى في رُوعي أنه لن تموتَ نفسٌ حتى تستوفي رزقَها ، فأجملوا في الطلب ».

قال الإمام الشافعي : وقد قيل : ما لم يُتْلَ قرآناً ، إنما ألقاه جبريل في رُوعه ـ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ بأمر الله ، فكان وحياً إليه .

وقيل : جعل الله إليه لما شهد له به من أنه يهدي إلى صراط مستقيم ، أن يسن .

وأيهما كان ؛ فقد ألزمهما الله تعالى خلقَه ، ولم يجعل لهم الخِيَرَةَ من أمرهم ، فيما سَنَّ لهم ، وفرض عليهم اتباع سنته.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى ـ في موطن آخر[2] في تعليقه على حديث اللعان ، فيما نَقل عمَّن سبقه ـ : فأَمْرُ الله تعالى إياه وجهان :

أحدهما : وحيٌ ينزل ، فيُتلى على الناس .

الثاني : رسالةٌ تأتيه عن الله تعالى ، بأن افعل كذا فيفعله ،...اهـ.

---

(١) الأم (٧ : ٢٧١) وجماع العلم بحاشية الأم (٧ : ٢٥١) وانظر الرسالة (٨٨ – ١٠٥).

(٢) انظر الأم (٥ : ١١٣ – ١١٤) وانظر : مناهل العرفان (١ : ٥٠).

وقال الإمامُ ابنُ حزم الظاهريُّ رحمه الله تعالى[1] : لما بيَّنّا أن القرآن هو الأصل ، المرجوع إليه في الشرائع ؛ نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجابَ طاعة ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفاً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[2]. فصح لنا أن الوحيَ ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى قسمين :

أحدهما : وحيٌ متلُوٌّ ، مؤَلَّفٌ تأليفاً ، معجزُ النظام ، وهو القرآن .

والثاني : وحيٌ مرويٌّ ، منقولٌ غيرُ مؤلَّفٍ ، ولا معجز النظام ، ولا متلُوٍّ ، لكنه مقروء ، وهو الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو المبيِّنُ عن الله عز وجل مرادَه منا ، قال الله تعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[3].

ثم قال : والقرآن والخبرُ الصحيح بعضُها مضافٌ إلى بعض ، وهما شيءٌ واحد في أنهما من عند الله تعالى ، وحكمهما حكمٌ واحد ،... ثم قال : أخبر تعالى - كما قدمنا - أن كلامَ نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلَّم كلَّه وحيٌ ، والوحيُ بلا خلاف ذِكْرٌ ، والذكرُ محفوظٌ بنص القرآن ،...إلخ.

ونقل الإمام السيوطي رحمه الله تعالى عن الإمام الجويني رحمه الله تعالى قال : كلام الله المنزل قسمان :

قسم : قال الله لجبريل : قل للنبي الذي أنت مرسَلٌ إليه : إن الله تعالى يقول : (افعل كذا وكذا ، وأمر بكذا) ففهم جبريل ما قاله ربُّه ، ثم نزل على ذلك النبي ،

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١ : ٩٦ – ٩٨).

(٢) سورة النجم (٣ – ٤).

(٣) سورة النحل (٤٤).

وقال له ما قاله ربُّه ، ولم تكن تلك العبارةُ تلكَ العبارة .

كما يقول الملِكُ لمن يثق به : قل لفلانٍ يقول الملِك : اجتهد في الخدمة ، وأَجمِع جندَك للقتال ، فإن قال الرسول : يقول الملِك : لا تتهاون في خدمتي ، ولا تترك الجند تتفرق ، وحُثَّهم على المقاتَلة ؛ لا يُنسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة .

وقسم آخر : قال الله تعالى لجبريل عليه السلام : اقرأ على النبي هذا الكتاب ، فنزل جبريلُ بكلمةٍ من الله تعالى ، من غير تغيير ، كما يكتب الملِك كتاباً ، يسلمه إلى أمين ، ويقول : اقرأه على فلان ، فهو لا يُغَيِّرُ منه كلمةً ولا حرفاً .اهـ.

قال الإمامُ السيوطي رحمه الله تعالى[1] ـ في تعليقه على هذا القول ـ : القرآن هو القسم الثاني ، والقسم الأول هو السنة . كما ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ، ومن هنا جاز روايةُ الحديث بالمعنى ، لأن جبريل أدّاه بالمعنى ، ولم تجز القراءة بالمعنى ، لأن جبريل أدّاه باللفظ ، ولم يُبح له إيحاءَه بالمعنى .

والسر في ذلك : أن المقصودَ منه التعبدُ بلفظه ، والإعجازُ به ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه ،... والتخفيفُ على الأمة ، حيث جعل المنزَّلَ إليهم على قسمين ؛ قسم : يروُونه بلفظه الموحَى به ، وقسم : يروونه بالمعنى ، ولو جعل كلَّه مما يُروىٰ باللفظ لشق ، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف ، فتأمل.اهـ.

قلت : لكن لم أر من ذكر أن جبريل عليه السلام كان ينقل نصَّ الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالمعنى ، ويتصرف في العبارة : اللهم إلا أن يقال : فُهم أنه أُبيح له ، مقارنةً بلفظ القرآن ، وعدم تغيير حرف منه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) الإتقان (١ : ٤٤).

لقد بدأت عنايتي بهذا الموضوع (السنة النبوية وحي) من زمن بعيد ، منذ أكثر من ثلاثين سنة ، عندما كتبتُ (الإمام الشافعي رحمه الله تعالى محدِّثاً) ثم ازدادت عندما كتبتُ (الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وأثره في الحديث وعلومه) عام (١٣٩٢ هـ) حيث ذكرتُ فصلاً مطوَّلاً ، بيَّنتُ فيه أن السنة النبوية وحي ، كما يراها الإمامُ الشافعي رحمه الله تعالى .

لكن عند تدريسي لمادة علوم الحديث لطلاب الدراسات العليا ـ في قسم الحديث بجامعة الإمام ـ ازدادت عنايتي بهذا الموضوع ، واهتمامي به ، حيث أرسلتُ إلى الهند لإحضار كتب الجماعة التي تسمي نفسها بـ (القرآنيين) فأحضروا لي عشرة كتب من مؤلفاتهم ، لكن كلها كانت بلغة الأوردو . وأخطر كتاب وقفتُ عليه فيها هو : (دو إسلام) وهو لواحد منهم ، ممن يُسمَّون بالقرآنيين[1] .

فأعطيت تلك الكتب لبعض الأخوة من الهند وباكستان ؛ من أهل العلم والفضل ؛ ممن أثق بعلمهم ودينهم ، وطلبت منهم قراءتها ، ويكتبوا لي الشُّبَه التي يثيرونها ، فكتبوا لي تلك الشبه ، فكتبت على أخطرها (شبهات حول السنة ودحضها) ومنها الشبهة الرابعة (قولهم : إن السنة النبوية ليست من الوحي) وكان الاستدلال في الرد عليها من القرآن الكريم فقط ، وفيه فصل طويل عن موضوعنا[2] .

كما كتبتُ فصولاً في بعض كتبي الأخرى ، فقد ذكرتُ فصلاً كاملاً في (نشأة علوم الحديث) وفي (الشفاعة والرد على منكريها) لأهمية ذلك .

---

(١) وهو الدكتور غلام جيلاني برق ، وقد توفي قبل سنوات ، وقد نُقل إليَّ أنه تاب عن بدعته قبل موته بفترة قصيرة ، ولا أدري صحة ذلك ، والرجل عند ربه تعالى ، مرتهن بعمله ، والله تعالى أعلم .

(٢) وهو من (٢٦٥ – ٣٢٧) وهو ثلاث وستون صفحة ، وقد كتب (عام ١٤٠٢هـ).

ثم أحببت أن أكتبَ كتاباً خاصّاً عن هذا الموضوع (السنة النبوية وحي) على ألّا أقتصر في الاستدلال على القرآن الكريم فقط ، لعل الله تعالى ينفع به المسلمين ، ويردّ عنهم فتنةً فُتحت عليهم هم في غنىً عنها ، ويسدّ نافذة هم في حاجة إلى إغلاقها ، ويضع بين أيديهم حجةً هم في أمس الحاجة إليها ، فاستخرتُ الله تعالى في ذلك ، وسألته جل شأنه التوفيق والصواب ، وأن يلهمني الخيرَ والرشاد .

فأكرمني جل شأنه ـ وفضله عميم غامرني ، وكرمه سابق مسربلني ـ فأفردت كتاباً كبيراً مستقلاً ـ ولله الحمد والمنة ـ عن هذا الموضوع ، وهو كتاب (السنة النبوية وحي) ولعله الأول في بابه ، وأسأله تعالى قبولَه .

لقد أكرمني الله جلت قدرته بأن قرأتُ كتابَه الكريم مرات كثيرة ، لاستخراج الأدلة من آياته على أن السنة النبوية وحي ، كما أكرمني الله عز شأنه بأن راجعتُ ألوفَ الأحاديث الشريفة ، واستخرجت منها أدلةً كثيرةً ، لكني اقتصرتُ على مائة عنوان ـ ولا أقول دليلاً ـ تدل على أن السنة النبوية وحي ، وتحت كل عنوان عددٌ من الأحاديث تكثر أو تقل ، لكن لا أذكر إلا حديثين أو ثلاثة غالباً ، وقد أزيد قليلاً ، وأشير إلى الباقي ، كما رجعت إلى دلائل النبوة وقسمتُها إلى أقسام ، لكني ذكرت ما يدخل في هذا الموضوع أو ما له صلة به ، وما لا صلة له به تركته لأمر آخر ، كما تتبعت ما يسمى بالإعجاز العلمي ، وكل ما له علاقة بهذا البحث ، وذكرتُ ذلك كلَّه في كتاب (السنة النبوية وحي).

ذلك أن العلماء رحمهم الله تعالى الذين أشاروا إلى أن السنة النبويةَ وحيٌ لم يستوعبوا ذكرَ الأدلة ، فقد يذكر أحدُهم دليلاً أو أكثرَ من غير استيعاب ، ولعل ذلك كافٍ في زمانهم ، بخلاف زماننا ، لذا حملني ذلك إلى التنوُّع والإكثار من النصوص ، والله تعالى هو المأمول بالقبول والرضا ، وهو المتكفِّل بحفظ دينه وشرعه .

لذا فإن الأدلة على أن السنةَ النبويةَ وحيٌ : هي من أربعة مصادر ، وهي :

أولاً : من القرآن الكريم . ثانياً : من السنة النبوية الشريفة . ثالثاً : من دلائل النبوة . رابعاً : الإعجاز العلمي . إضافة إلى الباب الأول ، وهو (بين النبوة والحي) فجاء بحمد الله تعالى وفضله كتاباً حافلاً في بابه ، والله تعالى هو المسؤول عن قبوله .

وقد جعلت هذا المختصر على شاكلة الأصل ، من خمسة فصول :

أما **الفصل الأول** : فيحوي : بين النبوة والوحي ، وفيه تعريف الوحي ، لغة واصطلاحاً ، ومجيؤه في القرآن بالمعنيين ، وأنواعه وأقسامه ، وأن القرآن الكريم نزل بصورة واحدة ؛ وهي في اليقظة بواسطة جبريل عليه السلام ، بخلاف الحديث النبوي ، ثم ذكرتُ أن النبوة تثبت بالوحي لا بنزول الكتاب ، إذ لا يشترط نزول كتاب على من اصطفاه الله تعالى حتى تثبتَ نبوتُه ، إنما العبرة بوجود الوحي ، ثم ذكرتُ أن ليس كل الوحي مكتوباً ، وهذان المبحثان مما أطلتُ النفس فيهما في الأصل ، حيث ذكرت الأدلةَ الكثيرةَ فيهما من القرآن الكريم . ولله الحمد والفضل .

والفصل الثاني : فيحوي : الأدلة من القرآن الكريم .

والفصل الثالث : فيحوي : الأدلة من السنة النبوية .

والفصل الرابع : فيحوي : الأدلة من دلائل النبوة .

والفصل الخامس : فيحوي : الأدلة من الإعجاز العلمي .

والخاتمة : وفيها نتائج البحث والتوصيات .

لكن سأقتصر في هذه الورقات على ملخص صغير جداً مما كتبته في تلك الكتب . لذا فمن أراد معرفةَ التفاصيل والأدلة من الكتاب والسنة والمصادر الأخرى ،...

فليرجع إليها ، خاصة (السنة النبوية وحي).

أسأله تعالى أن يجعل هذا البحث وغيره خالصاً لوجهه الكريم ، ويجعله ذخيرة مدخرة ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، ويرزقني فيه الصدقَ في القول ، والإخلاصَ في العمل ، ويسدد قلمي ، ويحفظني فيما بقي من عمري في ديني وصحتي وعقلي وذريتي ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله وسلَّم على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلّا خاطر العزَّامي

نزيل المدينة المنورة



الفصل الأول
بين النّبوّة والوحي

إن الحديث عن الاستدلال على أن السنة النبوية وحي لا بد أن يسبقه أمور : تعريف الوحي ، وبيان أنواعه ، وهل يشترط نزولُ كتاب على مَنْ اختاره الله تعالى للنبوة ، أم يُكتفىٰ بوجود الوحي ، لأنه لو كان يُشترط وجودُ كتابٍ حتى تثبت نبوة من اختاره الله تعالى لَمَا بقي إلا القليل من العدد الكبير من الأنبياء والرسل عليهم السلام ، لأنه من الثابت عدم وجود الكتب عند الكثيرين منهم ، كما لا بد من معرفة أن ليس كل ما ينزل على الأنبياء عليهم السلام من وحيٍ هو مكتوب ، بل قد يكون غير مكتوب ، وهذا ما سنراه إن شاء الله تعالى في هذا الفصل ، وإن كان بشكل مختصر جدّاً . ومن أراد الزيادة فلينظر في الباب الأول من (السنة النبوية وحي).

والخلاصة أن الكلام في هذا الفصل سيكون ـ بإذن الله تعالى ـ في أربعة أمور :

أولاً : في تعريف الوحي .

ثانياً : في أنواع الوحي .

ثالثاً : النبوة تثبت بالوحي لا بنزول الكتاب .

رابعاً : ليس كل الوحي مكتوباً .

والله تعالى أسأل تمام التوفيق والسداد ، وهو الموفق والمعين .

أولاً : تعريف الوحي :

الوحي لغةً : يطلق على : الإشارة ، والكتابةِ ، والرسالةِ ، والإلهامِ ، والكلامِ

الخفيّ ، والسرعة ، وكل ما ألقيتَهُ إلى غيرك .

ومن هذا يقال للوحي : هو الإعلامُ الخفيُّ السريعُ[1]. وقد ذكرت في الأصل ما يدل على كل واحد من هذه الألفاظ .

ـ ورود الوحي ـ بالمعنى اللغوي ـ في القرآن الكريم :

لقد ورد الوحيُ ـ بالمعنى اللغوي ـ في عدد من الآيات القرآنية ، أذكر منها بعضها على سبيل التمثيل :

كقولِه تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ... ﴾[2].

وقولِه تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[3].

وقولِه جل شأنه : ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾[4].

وقولِه تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[5].

وقولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾[6].

وقولِه عز وجل : ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾[7].

---

(١) انظر : الزاهر (٢ : ٣٥٣) والصحاح (٢٥١٩ وما بعد) ومعجم مقاييس اللغة (٦ : ٩٣) والقاموس المحيط (٤ : ٣٩٩) والمغرب (٢ : ٣٤٤ – ٣٤٥) ولسان العرب (١٥ : ٣٧٩ وما بعد). وانظر الأصل ، فقد ذكرت تفاصيل ذلك ، والاستدلال عليه . كما ذكرت مصادر كثيرة فيها دلالات على المعنى اللغوي .

(٢) سورة القصص (٧).

(٣) سورة النحل (٦٨).

(٤) سورة الأنعام (١١٢).

(٥) سورة مريم (١١).

(٦) سورة المائدة (١١١).

(٧) سورة فصلت (١٢).

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ ... بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[1]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة .

وأما تعريفُه في الشرع : فهو يرد بمعنيين ، بحسب اعتبارين :

ـ الإعلامُ بالشرع . وذلك بأن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كلَّ ما أراد اطلاعَه عليه ؛ من حُكمٍ شرعي وغيرِه ، ويكونُ في خفاءٍ ، غيرِ معتادٍ للبشر ، وهذا باعتبار مصدرِه .

ـ قد يُطلق ويرادُ به اسمَ المفعول منه ، وهو المُوحى به ؛ وهو كلامُ الله عز وجل المنزَّلُ على نبيه الكريم سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ورود الوحي ـ بالمعنى الاصطلاحي ـ في القرآن الكريم :

لقد ورد الوحيُ في القرآن الكريم بالمعنى الشرعي ، في عدد كبير من الآيات الكريمة ، لكني اقتصر ـ هنا ـ على ذكر بعضها ، فمن ذلك :

قوله جل شأنه : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ... ﴾[3].

وقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[4].

وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾[5].

---

(١) سورة الزلزلة (١ – ٥).

(٢) سورة النساء (١٦٣).

(٣) سورة الكهف (١١٠).

(٤) سورة النجم (٩ – ١٠).

(٥) سورة يوسف (٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[١].

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[٢].

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّى ﴾[٣].

ثانياً : أنواع الوحي :

للوحي أنواعٌ متعددة ، لكن الله تعالى حصرها في ثلاثِ حالات ، وهي ترجع إلى حالتين :

الأولى : بغير واسطة ، وتشمل الحالتين الأولى والثانية .

والثانية : بواسطة ، وتشمل الحالة الثالثة .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[٤].

والحالات الثلاث هن :

١ـ قوله تعالى : ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ فيكون بغير واسطةٍ ، وله حالتان :

ـ أن يكون في اليقظةِ ؛ كالإلهامِ ، والتكلمِ ليلةَ المعراج مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بدون واسطة ،...إلخ.

ـ أن يكون في المنام ؛ كما في قصة إبراهيم عليه السلام ، وكما في قصة دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم مكة ،...إلخ.

---

(١) سورة الشورى (٧).

(٢) سورة النحل (١٢٣).

(٣) سورة الأعراف (٢٠٣).

(٤) سورة الشورى (٥١).

٢ـ قوله تعالى : ﴿ أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ وذلك بأن يكلمَ الله تعالى نبيَّه من وراء حجاب ، كما حصل لموسى عليه السلام .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا ﴾ فيوحي ذلك الرسولُ الملَكُ إلى المرسَلِ إليه من البشر ، بإذن الله تعالى ما يشاءُ الله تعالى ، وله صور متعددة :

أ ـ أن يظهر بصورته الحقيقية الملكية .

كما حصل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث رأى جبريلَ عليه السلام مرتين ، كما حكى القرآن الكريم في سورة النجم[١].

ب ـ أن يظهرَ جبريلُ عليه السلام بصورةِ إنسانٍ ، ويراه الناسُ .

وقد ظهر في صورة دِحية الكلبي رضي الله عنه مراراً ، كما ظهر في صورة أعرابي ، كما في حديث سؤاله عن « الإيمان ، والإسلام ، والإحسان » وهو المعروف بحديث جبريل عليه السلام .

جـ ـ أن ينفث في الرُّوع .

وذلك بأن ينفث روحُ القدس في رُوع النبيِّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

د ـ وهذا هو الغالب ، أن يهبط على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم خفية ، بحيث لا يراه الناسُ الحاضرون ، ولكن يظهر أثرُه على النبيِّ من التغيير والانفعال الذي يصيب النبيَّ المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... والاستغراق التام ، وتصبّبِ العرق في اليوم الشديد البرد . وله مقدمةٌ

---

(١) انظر الآيات البينات لما في الإسراء والمعراج من الخوارق والمكرمات ، فقد أوضحت ذلك ، وذكرت النصوص فيه .

تُنبِّه النبيَّ الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم بقدومه ، شبَّهها صلى الله عليه وآله وسلَّم بصلصلة الجرس ، ويراها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم كدوي النحل ،...إلخ.

والقرآن الكريم نزل كلُّه بواسطةِ جبريل عليه السلام ، إلا ما ورد في أواخر سورة البقرة[1].

ثالثاً : ثبوت النبوة بالوحي :

إن نزول الوحي على من اصطفاه الله تعالى من البشر ؛ بما يريدُه الله تعالى ، وبما يدلُّه عليه ، وينزله عليه من أحكام تشريعية ، وأخبارٍ بمغيبات ، ودلائل ، وحججٍ ،... كلُّ ذلك يدل على أن هذا المصطفى من البشر إنما هو نبي ، أُعلم بذلك من قِبَل الله تعالى ، وهو كافٍ في الدلالة على نبوته واصطفائه من قِبَلِ ربه عز وجل .

فإذا نزل عليه أمرٌ من الله جل شأنه بتبليغ ما أُنزل عليه ، فهو رسولٌ ، فحصل من هذا : أن كلَّ رسولٍ نبيٌّ ، ولا عكس .

ـ وقد يكون النبيُّ المختارُ متعبَّداً على شريعةِ من سبقه من الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام . كما هو الحال في أغلب أنبياء ورسل بني إسرائيل ، من بعد موسى عليهم السلام ، فكلهم على شريعته .

ـ كما قد يكون في الوقت الواحد أكثرُ من نبيٍّ ، ولو في القرية الواحدة ،... كما قد يكون أكثر من رسول أيضاً .

ـ كما قال تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ

---

(١) انظر : الإتقان (١ : ٤٤ – ٤٥) ومناهل العرفان (١ : ٤٨ – ٥١).

ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴾[1].

ولا يشترطُ وجودُ كتابٍ منزل من قِبَل الله تعالى حتى يُعتبر ذلك المصطفى بالوحي رسولاً أو نبيّاً ، إنما العبرةُ بوجود الوحي ، لأنه من المجمع عليه أن الكتب والصحف إنما نزلت على بعض الأنبياء والرسل عليهم السلام ، أما أغلب الأنبياء والرسل عليهم السلام فليس عندهم كتب ولا صحف ، إنما ينزل عليهم الوحي بما يريده الله عز وجل . ولو كان يُشترط وجودُ الكتاب لصحة النبوة أو الرسالةِ لأُلغِيت نبوةُ ورسالةُ كثيرين من الرسل والأنبياء عليهم السلام ، لعدم وجود ذلك عندهم .

كما لو كان وجودُ الكتاب شرطاً لصحة نبوة كل نبي ، لوجب وجودُ الكتب عندهم جميعاً ، وهذا خلاف الواقع المجمع عليه ، وهو وجودُ بعض الكتب عند بعض الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .

لكن المجمع عليه : هو وجودُ الوحي عند جميعهم عليهم السلام .

كما قال تعالى : ﴿ ۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾[2].

فيلاحظ قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ حيث ذكر نوحاً عليه السلام ، لأنه أولُ رسولٍ أُرسل إلى البشرية ، ثم ذكر ﴿ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ ليكون شاملاً مستغرِقاً جميعَ الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة السلام من بعد نوح عليه السلام .

---

(١) سورة يسٓ (١٣ – ١٤).

(٢) سورة النساء (١٦٣).

وقال الله جل شأنه عن سيد البشر سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ... ﴾(1).

أما ترىٰ أن موسى عليه السلام لما خرج بأهله من مدين ، وأصابهم البرد والجوع ، وورد مكان ما رأى فيه النار من جانب الطور الأيمن ، وخاطبه الله تعالى ، وجعل له آيتين ـ العصا واليد ـ : أمره مباشرة بالتوجه إلى فرعون ، ولم تكن التوراة قد نزلت عليه ، لأن نزولها كان بعد عودتهم من مصر وهلاك فرعون .

قال الله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾(2).

فقد ذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمة : اختيارَه لموسى عليه السلام ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ ﴾ ثم أمرَه تعالى له بالاستماع لما يوحيه ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ ثم الأمر بعبادته تعالى وإقامة الصلاة لذكره ﴿ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ ثم الأمر بإلقاء العصا وضم اليد ؛ ليكونا آيتين ، ثم أمره بالذهاب إلى فرعون ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ وهل كانت التوراة قد نزلت حين أُمر بالتوجه إلى فرعون ؟ لا ، إنما هو نزول

(1) سورة الكهف (١١٠).

(2) سورة طه (٩ – ٢٤).

الوحي لا غير ، وأُعطي آيتين ، دلالة على نبوته ورسالته ، فقامت الحجة على فرعون .

فالعبرة إذاً : بوجود الوحي ، وبه قامت الحجةُ على الناس كلهم ، إذ لو كانت الحجة لا تقوم إلا بوجود الكتاب لبطلت نبوةُ ورسالةُ كلِّ نبيٍّ ورسولٍ ليس عنده كتاب ، وللزم عدم الاستجابة لكل من ليس عنده كتاب ، وكذا عدم الطاعة لهم ، وهذا كله محال ، لأنه نص صريح ، بعد إثبات نبوتهم ورسالتهم ، والله تعالى أعلم .

رابعاً : ليس كل الوحي مكتوباً :

والأمر الآخر المقرر ، بالنسبة للأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام الذين ينزل عليهم الوحي ، فإنه لا يُشترط أن يكون ذلك الوحيُ مكتوباً ، سواء ممن لم يسبق لهم كتابٌ منزل ، كما هو الحال في أغلب الأنبياء والرسل عليهم السلام ، أو حتى الذين نزلت عليهم كتبٌ وصحفٌ ؛ كموسى وعيسى وداود ،... على نبينا وعليهم الصلاة السلام ، فإنه لا يشترط أن يكون جميعُ الوَحْي المنزَّل إليهم مكتوباً في الكتب أو الصحف المنزلةِ عليهم . وقد عرفنا هذا مما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم .

ولما كانت الشواهدُ في القرآن الكريم كثيرةً جداً فإني أقتصر على ذكر أربعة شواهد فقط ، وهي عن أولي العزم من الرسل ؛ والذين ذُكروا في قصة الشفاعة العظمى يوم الحشر على نبينا وعليهم الصلاة والسلام : ليكونوا مثالاً لما قررتُه هنا ، ومن أراد الزيادة ، فليرجع إلى ما كتبته في غير هذا المكان[1].

المثال الأول : ما كان مع نوح عليه السلام وقومه :

قال الله تبارك وتعالى ـ بعد ما ذكر ما كان بين نوح عليه السلام وبين قومه ـ :

---

(١) انظر : شبهات حول السنة ودحضها ، والسنة النبوية وحي ـ الفصل الرابع من الباب الأول .

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ثم يقول الله تبارك وتعالى في خاتمة الآيات لنبيه المصطفى الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ ... ﴾[1].

هذا الخطاب من الله عز وجل لنوح عليه السلام بعدم إيمان قومه ، وأمره جل شأنه له عليه السلام بصناعة السفينة ، وعدم مخاطبته جل وعز في الكفار بعد عقوبتهم ، ثم هذه المحاورة بين الله تعالى ونوح عليه السلام بشأن ولد نوح ، وما كان منه ، ثم الأمر منه تعالى لنوح بالهبوط من السفينة إلى اليابسة : هل هذا موجودٌ في كتابٍ مكتوبٍ عند نوح عليه السلام يقرؤه ويتلوه ، أم هو خطاب مباشِرٌ ، كلّمه الله جلت قدرته به مباشرةً ، وليس ثمة كتاب يقرؤه ؟

والجواب : لا يمكن أن يكون هذا مكتوباً في كتاب ، إذ لو كان مكتوباً عنده في كتاب ؛ لأُمر بالرجوع إليه مباشرة ، ولما احتيج إلى هذه المحاورة والمخاطبة ،

(١) سورة هود (٣٤ – ٤٨).

ثم إن سياق القصة يتضح منه عدم وجوده عنده من قبل ، كما هو واضح ، والله تعالى أعلم .

المثال الثاني : كلام الله تعالى مع إبراهيم عليه السلام :

لقد كثرت النصوص القرآنية في كلام الله سبحانه وتعالى مع إبراهيم عليه السلام ، وتوسعتُ في الأصل في بيان ذلك ، أذكر هنا بعض الآيات الكريمة للتقريب والتنبيه :

قال الله عز وجل : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1] .

ابتلاء الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بالكلمات وإتمامهن ، وجعلُ الله تعالى له إماماً ، وأن عهده جل شأنه لا ينال الظالمين ، ثم العهد لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وأمره عز وجل لهما بتطهير البيت العتيق ، أَمِثلُ ذلك يكون مسطوراً أم هو مشافهة وقتية ؟

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

هل هذا الحوار مكتوب في كتاب قرأه إبراهيم عليه السلام ، أم هو جواب لطلب طلبه عليه السلام ، فكان الجواب والتفصيل ؟

---

(١) سورة البقرة (١٢٤ – ١٢٥).

(٢) سورة البقرة (٢٦٠).

في هذا النص الكريم قولان لإبراهيم عليه السلام ، تضمنا طلباً وتعليلاً ، وقولان لله تعالى ، تضمنا استفساراً وأمراً منه عز شأنه لتحقيق طلب إبراهيم عليه السلام ، وإعادة إلى القاعدة العقدية ﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

فلو كان هذا الأمر مكتوباً ، لأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بقراءته ، ولكنه حوار جرى بين الله تعالى ونبيه إبراهيم عليه السلام . مما يدل على أن من الوحي ما ليس مكتوباً ، والله تعالى أعلم .

وإذا جاز هذا لإبراهيم عليه السلام فالنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من باب أولىٰ ، والله تعالى أعلم .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1]

ففي هذا النص الكريم : إخبارٌ ، وثلاثةُ أوامر لله تعالى . فتحديدُ مكان البيت لإبراهيم عليه السلام ـ وهو غير ظاهر ولا معلوم العين ، لاندثاره بالسيول ـ والنهيُ عن الشرك ، والأمرُ بتطهير البيت ، ثم الأذان ـ بعد انتهائه عليه السلام من بناء البيت في الناس بالحج ـ على رأي من يرى أن الخطاب لإبراهيم عليه السلام ـ فهل مثلُ ذلك مكتوب ، أم كان خطاباً مباشراً من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ؟

فإذا جاز مثل ذلك لإبراهيم عليه السلام فالنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من باب أولىٰ ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة الحج (٢٦ – ٢٧).

المثال الثالث : كلام الله تعالى مع موسى عليه السلام :

وذلك في إخبار موسى عليه السلام بني إسرائيل ، في قصة ذبح البقرة ، عندما حصل اللوث بينهم ، فأمره الله تعالى بذبح بقرة وضرب الميت بجزء منها ، فيحيا ليخبرهم بمن قتله .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١) .

ففي هذه الآيات : أمرانِ وأربعةُ أقوالٍ لله تعالى ، فلو كانت هذه الأقوال مسطورةً في التوراة ، لما اضطر موسى عليه السلام إلى الأسئلة عن البقرة وأجوبتها ، بل لأمرهم بالرجوع إلى التوراة ، أو لقرأها عليهم ، وأمرهم بالعمل بها ، وكل ذلك غير موجود ، إنما هو سؤالٌ وجوابٌ عن حادثةٍ وقعت .

يضاف إلى هذا : أن التوراة نزلت جملةً واحدةً ، وليس فيها إلا ما هو مسطور ، وأما ما يقع بعدها من حوادث فتحتاج إلى جوابٍ جديدٍ . وهذا الخطاب هو وحيٌ غير مسطور ولا متلوٍّ .

---

(١) سورة البقرة (٦٧ – ٧٣).

فإذا جاز هذا لموسى وغيره من الأنبياء السابقين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، فنبينا المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من باب أولىٰ وأولىٰ ، والله تعالى أعلم .

المثال الرابع : كلام الله تعالى مع عيسى عليه السلام :

وذلك حين طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن ينزل الله سبحانه وتعالى عليهم مائدة من السماء :

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فهل هذا من الوحي المسطور في الإنجيل ، أم من غير المسطور ؟

من سياق الآيات الكريمة يتضح أنه ليس من الوحي المسطور ، وإلا كيف رد عليهم المسيح عليه السلام بقوله : ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . ثم يؤكد الحواريون طلبهم بقولهم : ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ فسأل عيسى عليه السلام ربَّه عز وجل فقال : ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ فأنزل الله تعالى المائدة ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ ثم مجيء التهديد من الله عز وجل لهؤلاء الحواريين بقوله جل

---

(١) سورة المائدة (١١٢ – ١١٥).

شأنه : ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

فلو كان هذا موجوداً في الإنجيل ـ من الوحي المسطور ـ لقرأه المسيح عليه السلام عليهم إذ جهلوه ، أو ذكَّرهم به إذ غفلوا عنه ، فلما لم يكن شيء من ذلك طلب هو عليه السلام من ربه عز وجل ذلك ، فاستجاب الله تعالى له .

ثم لا يمكن أن يكون ذلك مسطوراً في الإنجيل ، والخطاب جاء : طلب من الحواريين ، محاورة بين عيسى والحواريين ، دعاء من عيسى عليه السلام ، إجابة من الله تعالى ، ثم تهديد وتخويف لمن يكفر بعد ذلك . وكل ذلك دلالة على أن طلب المائدة كان آنيّاً ، وليس مسطوراً في الإنجيل ، والله تعالى أعلم .

وإذا جاز هذا لعيسى عليه السلام فالنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من باب أولىٰ ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

الفصل الثاني
الأدلّة من القرآن الكريم

إن الأدلة من القرآن الكريم على أن السنة النبوية وحي نوعان :

الأول : أدلة عامة .

والثاني : أدلة جزئية .

وإني سأذكر من النوع الأول خمسةَ أدلة فقط ، ومن النوع الثاني ستة أدلة ، على قدر هذا المختصر ، ومن أراد الزيادة ؛ فليرجع إلى الكتاب الأصل : (السنة النبوية وحي) فقد ذكرتُ أكثرَ من سبعين دليلاً على التفصيل ، ولله الفضل والمنة ، وأسأله تعالى مزيد فضله .

أما **النوع الأول : وهو الأدلة العامة .**

فيها نصوص كثيرة ، لكني أقتصر على ذكر بعضها للتدليل ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل .

١ـ إخبار الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه لا ينطق عن الهوىٰ :

لقد أخبرنا الله جل شأنه أن نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لا ينطق عن الهوىٰ ، إنما هو وحيٌ يوحيه الله تعالى إليه .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[1] .

---

(١) سورة النجم (١ – ٥).

فقوله جل وعز : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ لفظة عامة ؛ تشمل جميع ما يلفظه صلى الله عليه وآله وسلَّم وما ينطق به ، لأنها سياق النفي ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ حصر ذلك بالوحي ، ذلك لأن الكلام إذا سبقه نفيٌ ، ثم جاء بعده حصرٌ ؛ يكون ما بعد النفي منحصراً بما بعد الحصر ، فيكون معناه ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن كلَّ ما ينطقه صلى الله عليه وآله وسلَّم ما هو إلا وحي يوحىٰ إليه .

وإذا كان كلُّ ما يقولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : إنما هو وحيٌ يُوحىٰ إليه به ، دل على أن السنة النبوية هي وحي ، والله تعالى أعلم .

ولا يصح حمل هذا اللفظ الكريم على غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بدلالة سياق الآية الكريمة ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ وهو ما عبَّر الله تعالى عنه في عدَّة آيات ، كما في قوله جل شأنه : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾[1] والآيات التي تليها ، والله تعالى أعلم .

كما أن سياق الآية الكريمة ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ لا يدل على جزء من الكلام دون غيره ، بل هو عامُّ اللفظ ، والقولُ محصورٌ بالوحي ، والله تعالى أعلم .

٢ـ الحكمة المعطوفة على الكتاب :

لقد تكرر ذكر عطف الحكمة على الكتاب في القرآن الكريم عدة مرات ، حتى في التنزل ، ولما كان القرآن الكريم قد نزل من عند الله تعالى بالوحي ، وعطف الله تعالى عليه الحكمة في التنزل دل على أنها وحي هي الأخرى ، والله تعالى أعلم .

قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) سورة التكوير (٢٢).

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]. في أربع آيات كريمات ، تكرَّرَ فيها عطفُ الحكمة على الكتاب[2].

فالحكمة المعطوفة على الكتاب ـ هي السنة النبوية ـ وهي وحي منزل من عند الله تعالى بدلالة الآيات التاليات .

قال الله جل شأنه : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ ﴾[3].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[4].

فقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ و ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ يدل على أن « الحكمة » منزَّلةٌ من عند الله تعالى ، كما هو الحال في الكتاب الكريم ، لأنها معطوفةٌ عليه ، ومقرونةٌ به ، وكلاهما منزَّل .

كما يلاحظ أن الآيةَ السابقة جاء فيها الضمير مفرداً ﴿ يَعِظُكُم بِهِۦۚ ﴾ مع أنه ذكر اثنين : الكتاب والحكمة ، ومقتضىٰ اللغة : إما تثنية الضمير ، أو تقديم الفعل ، وعطف الاسم الثاني ، وفي هذا دلالة على أن الموعوظ به واحد ، وهو الوحي بنوعيه ؛ المتلو وغير المتلو ، كما في ذلك دلالة على أن الحكمة ـ وهي السنة ـ وحي هي الأخرى ، والله تعالى أعلم .

ولا يصح أن يقال : إن « الحكمة » هنا هي « الكتاب » بدلالة قوله تعالى :

---

(١) سورة البقرة (١٢٩).

(٢) انظر : سورة البقرة (١٥١) وسورة آل عمران (١٦٤) وسورة الجمعة (٢).

(٣) سورة البقرة (٢٣١).

(٤) سورة النساء (١١٣).

﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[1].

فالكتابُ هو آيات الله تعالى ـ في هذه الآية الكريمة ـ عُطفت عليها الحكمةُ ، فدل اللفظ على التغاير ، لكن كلاهما ـ أي الكتاب والحكمة ـ منزَّلان متلوان ، ولا يكون ذلك إلا للوحي . وإن كان تلاوةُ الكتاب الكريم غيرَ تلاوة الحكمة ، والله تعالى أعلم .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[2] : ذَكَر الله الكتابَ ـ وهو القرآن ـ وذكر الحكمةَ ، فسمعتُ مَن أرضى مِن أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمةُ سنةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وهذا يشبه ما قال ، والله تعالى أعلم .

لأن القرآن ذُكِر ، وأُتبعته الحكمةُ ، وذَكَر الله تعالى مَنَّه على خَلْقه : بتعليمهم الكتابَ والحكمةَ ، فلم يَجُز ـ والله تعالى أعلم ـ أن يُقال الحكمة هٰهنا : إلا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم.اهـ.

وما قاله الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ـ ونقله عمن رضي من أهل العلم بالقرآن ممن هم قبله ـ ليس مذهبَه فحسب ، بل هو مذهبُ عامة السلف والمفسرين[3] ، كما بينت هذا في غير هذا الموضع ، والله تعالى أعلم .

٣ ـ التكفل ببيان الكتاب :

لقد تكفَّل الله تعالى بجمع القرآن الكريم في صدر رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة الأحزاب (٣٤).

(٢) الرسالة (٧٨ – ٧٩) وانظر جماع العلم ـ بحاشية الأم ـ (٧ : ٢٥١).

(٣) انظر : الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه ، حيث بينت هناك أنه مذهب السلف وعامة المفسرين .

وآله وسلَّم ، كما تكفَّل جل شأنه ببيانه ، فقال تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[1].

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يُحرِّك لسانه أثناء قراءة جبريل عليه السلام في نزوله بالوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، مخافةَ أن ينفلت منه ، ولا يحفظه ، فنُهي صلى الله عليه وآله وسلَّم عن ذلك ، وأُخبر أن الله عز وجل هو المتكفل بحفظه في صدره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وجريانه على لسانه بعد ذلك ، كما أن الله تعالى هو المتكفِّل بتفهيم تلك الآيات ومناسباتها له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويوضِّح ذلك :

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يُعالج من التنزيل شدَّة ، وكان مما يُحرِّك شفتيه .

وفي رواية : كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا نزل جبريلُ عليه السلام عليه بالوحي ، وكان مما يُحرك به لسانه وشفتيه ، فيشتدّ عليه ، وكان يعرف منه ، فأنزل الله الآية التي في ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قال : علينا أن نجمعه في صدرك ، وقرآنه [فتقرأه] ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قال : فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ علينا أن نبيِّنه بلسانك [وفي رواية أخرى : أن نبيِّنه على لسانك] قال : فكان [رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بعد ذلك] إذا أتاه جبريل أطرق . فإذا ذهب جبريل [قرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم] كما وعده الله . متفق عليه[2].

---

(١) سورة القيامة (١٦ – ١٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوحي : باب (٤) حدثنا موسى بن إسماعيل ، وكتاب التفسير : سورة القيامة : باب : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ وباب : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : =

فقولُه في الحديث (علينا أن نبيِّنه على لسانك ـ أو بلسانك ـ) هو بيان مجملات الوحي ، وتوضيح مشكلاته ، وبيان معانيه وأحكامه ،... والله تعالى أعلم ، بحيث يُجري الله سبحانه وتعالى ذلك على لسان نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وآله وسلَّم بعد قذف ذلك في قلبه ، والله تعالى أعلم .

وقولُه سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ تكَفُّلٌ من الله عز وجل ببيان القرآن الكريم ؛ الذي يُشكل على الناس في معانيه ، ومجمله ، وعامه ، وأحكامه ،...إلخ.

وهذا البيان الذي تكفَّل الله تعالى به : إما أن يكون قرآناً لاحقاً ؛ ينزله في كتابه مثل القرآن النازل ، أو لا .

ـ فإن كان قرآناً افتقر هو الآخر إلى بيان آخر أيضاً ، وهكذا يحتاج القرآن إلى قرآن تالٍ ليبيِّنه ،... ويكون الدور .

يضاف إلى ذلك أيضاً أن مجملَ القرآن ، ومعانيه ، وأحكامَه ،... موجودةٌ في القرآن الكريم ، وقد بيَّنها النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما سيأتي ذكرُ بعضه بعد قليل ، إن شاء الله تعالى .

ـ وإن كان البيان علاوةً على القرآن الكريم ـ وهو الحقُّ ـ كان منزَّلاً أيضاً ، باعتبار قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ حيث تكفَّل به ، وكان هذا البيانُ المنزَّلُ غيرَ الذي نقرؤه ، وهو وحيٌ أيضاً باعتبار الالتزام الذي التزم الله سبحانه وتعالى به في قوله جل وعز : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ولا شك أن هذا البيان هو السنة ؛ الموحى بها إلى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

ومن هنا يتضح كيف أن الله جل شأنه قد وكَلَ هذا البيانَ إلى رسوله المصطفى

= باب الاستماع للقراءة ، رقم (١٤٧ – ١٤٨).

الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث قال جل شأنه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

بل حصر الله سبحانه وتعالى مهمَّةَ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في ذلك ، فقال جل شأنه : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

فيكون الله تعالى قد بيَّن لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ما أنزله عليه ، مما يحتاج إلى بيان ، ثم بيَّنه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لأمته بعد ذلك ، والله تعالى أعلم .

فهذا البيانُ المُلتَزَمُ به مِن قِبل الله عز وجل ، والمعهودُ به إلى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم هو من الوحي المنزَّل ، باعتبار الالتزام ، والعهد به إلى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبه بانت السنة النبوية أنها وحي أيضاً ، والله تعالى أعلم .

٤ ـ بيان الأحكام الشرعية :

إن أغلب الآيات القرآنية الكريمة في أحكام العبادات والمعاملات الخاصة والعامة ، بل حتى في العقائد والأخلاق ،...إلخ. جاءت مجملةً ، أو عامةً ، أو مطلقةً ، وجاءت السنةُ النبويةُ الشريفة مبيِّنةً ، أو مقيِّدةً ، أو موضِّحةً ، أو مخصِّصةً ،... أو جاءت بأحكام زائدة .

ففي **العبادات** مثلاً :

جاءت آيةٌ في **التيمم** ، هي قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ

(١) سورة النحل (٤٤).

(٢) سورة النحل (٦٤).

أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾[1]

وأخرى في **الوضوء**، هي قوله جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[2].

لكن لم يرد فيهما ذكر الاستجمار، والاستنجاء، وغَسلُ النجاسة، وكيفية الغسل، ولم يوضِّح الماء، ومقداره في الوضوء، كما لم يأت كثير من الأحكام في آية الوضوء، كغسل اليدين في ابتداء الوضوء، والمضمضة، والاستنشاق، والمبالغة فيهما، والاستنثار، والسواك، ومسح الأذنين، والتثليث في ذلك،...إلخ.

وفي **الصلاة**: جاءت الآية مجملة ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فجاءت السنة النبوية الشريفة لتبيِّن أوقاتها، وعددَ ركعات كل صلاة، وكيفيتها، وماذا يقال في القيام، وفي الركوع، وفي السجود، وما يجوز فيها، وما لا يجوز، وما يشترط لها، وما يبطلها،... وجاءت بالأذان والإقامة وألفاظهما،... والصلاة النافلة؛ المقيدة وغيرها،... والقصر في السفر من غير خوف، والجمع بين الصلوات في السفر والحضر،...إلخ.

وفي **الزكاة**: جاءت الآية مجملة: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فجاءت السنة النبوية الشريفة لتحدِّد الأموال التي تُخرج فيها الزكاة؛ من النقدين، والأنعام، والخارج من الأرض، وأحكامَ الركاز، وما لا يُخرَج منه، وبيان الحول، والنصاب،...

ومقدار الزكاة؛ في الإبل: إذا بلغت خمساً ففيها شاة،... وفي الغنم: إذا بلغت أربعين ففيها شاة،... وفي البقر: إذا بلغت ثلاثين ففيها تبيع أو تبيعة،...

---

(١) سورة النساء (٤٣) وسورة المائدة (٦).

(٢) سورة المائدة (٦).

وفي الفضة : في كل مائتي درهم ،... وفي الذهب : في العشرين مثقال : وكلاهما فيه ربع العشر .

ثم ما زاد في ذلك كله عن المذكور فبمقداره الذي ذكرته السنة .

وفي **المزروعات** : فقد جاءت الآية مجملةً ، وهي قوله عز وجل : ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ لكن ما هي المزروعات التي تزكّى ، وما هو المقدار ، وما هو النصاب ، وما حكم ما كان يُسقى بغرب أو سانية ، وما كان يُسقى من السماء ،... كل ذلك جاء بيانه في السنة النبوية الشريفة .

ثم جاءت السنة النبوية الشريفة لتبيِّن ما لا تجب فيه الزكاة من هذه الأموال ،... وهكذا .

وفي **الصيام** : جاءت الآيات فيه مبينةً وجوبَ الصوم ، ثم إباحة الرفث والطعام والشراب ليلة الصيام[1]،...

لكن ما حكم من أكل أو شرب ،... ناسياً ، وما هي المفطرات في الصيام ، والمباشرة والقُبلة للصائم ، ثم صيام الأيام التي يسن صيامها ؛ كأيام الإثنين والخميس ، ونصف الشهر ، وستٍّ من شوال ،... وأيهما الأفضل في السفر ؛ الصوم أم الفطر ،...إلخ.

وفي **الحج** : حيث جاءت الآية عامة ومجملة .

لكن من الذي رتبه بالصورة التي نعرفها ، كتعيين المواقيت الزمانية والمكانية ، ومواقيت الآفاقي ، ومن دونهم ، والمقيم في مكة ،... والمبيت في منى ليلة التاسع ، وبدء وانتهاء الوقوف بعرفة ، ومكان الوقوف فيه ، والمبيت في مزدلفة ، وجمع

---

(١) انظر : مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في رمضان . فقد ذكرت مراحل الصوم ، وكيف مر .

الجِمار ، ورمي الجمرات ، والمبيت في منى ليالي أيام التشريق ،... وما هي مبطلات الحج ، وما يلزم فيه الدم ، وما لا ،...إلخ، كل ذلك جاءت به السنة النبوية الشريفة .

ومثل ذلك في المعاملات وغيرها كثير .

فهل عيَّن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك من عند نفسه ، أم هو الوحي الذي لم نطَّلع عليه ؟ وكيف يكون من عند نفسه - حاشاه بأبي هو وأمي - والله جل وعز يقول : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ لكنه البيان الذي وَكَله الله جل شأنه إليه ، وأوحاه له فنطق صلى الله عليه وآله وسلَّم به ، حيث يقول الله جل شأنه : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ بعد أن تكفَّل الله تعالى له بالبيان ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ وقد أخبرنا عز وجل بأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لا ينطق عن الهوىٰ ، إنما هو الوحي الذي يوحىٰ إليه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ فهو صلى الله عليه وآله وسلَّم يَتَّبع ما يوحيه الله تعالى إليه في كل أموره ، كما أخبرنا الله جل شأنه عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّى ﴾ .

ثم ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يفعل ذلك من عند نفسه ، ولو فعل صلى الله عليه وآله وسلَّم لما أقرَّه الله تعالى ، ولذكر الله تعالى ذلك لنا في كتابه الكريم ، ولكان صلى الله عليه وآله وسلَّم متقوِّلاً على ربه - حاشاه بأبي هو وأمي - فلما أقره الله تعالى - بل وَكَلَ ذلك البيان إليه ؛ دلَّ على أن ما فعله صلى الله عليه وآله وسلَّم من البيان إنما هو بأمر الله عز وجل الذي أوحاه إليه ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما اتبع ما يوحىٰ إليه ، وإن كان قد خفي علينا كثيرٌ من ذلك ، لأن بعضاً منه قد صرّح صلى الله عليه وآله وسلَّم بتعليم جبريل

عليه السلام له ، كما ذكرته في الأصل ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ تقدم الفعل من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على نزول الآية القرآنية :

هناك كثير من الأعمال العبادية ، والمعاملات ،... كان النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يفعلها ، ومعه المؤمنون ، ولم يكن القرآن الكريم قد نزل في ذلك ، بل إن بعض تلك العبادات والمعاملات كانت معروفة في العهد المكي وما نزلت الآيات بصددها إلا في العهد المدني ، كما أن هناك بعض الأحكام قالها النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم جواباً لسؤال مثلاً ، ثم نزل تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل . والنصوص في ذلك كثيرة ، أذكر بعض الأمثلة على ذلك :

أ ـ آية الوضوء مدنية بالإجماع ، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سقطت قلادة لي بالبيداء ـ ونحن داخلون المدينة ـ فأناخ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ونزل ، فثنى رأسَه في حِجْري راقداً ، أقبل أبو بكر رضي الله تعالى عنه فلكزني لكزةً شديدةً ، وقال : حبست الناس في قلادة ؟ فبي الموتُ لمكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد أوجعني ، ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم استيقظ ، وحضرت الصبحُ ، فالتُمِس الماءُ فلم يوجد ، فنزلت : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ الآية[1].

فقال أُسَيدُ بن حُضير رضي الله تعالى عنه : لقد بارك اللهُ للناس فيكم يا آل

(١) سورة المائدة (٦).

أبي بكر ، ما أنتم إلا بركةٌ لهم . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

فقوله : « فالتمس الماء... ». دليل على أن الوضوء كان واجباً عليهم قبل نزول لآية الوضوء ، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء ، ووقع من أبي بكر في حق عائشة رضي الله تعالى عنها ما وقع .

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في التمهيد[2] : وفي قوله في حديث مالك ـ وهي الرواية الثانية لهذا الحديث ـ : وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء : دليل على أن الوضوء قد كان لازماً لهم قبل نزول آية الوضوء ، وأنهم لم يكونوا يصلّون إلا بوضوء قبل نزول الآية ، لأن قوله : فأنزل الله آية التيمم ـ وهي آية الوضوء المذكورة في سورة المائدة ، أو الآية التي في سورة النساء . ليس التيمم مذكوراً في غير هاتين الآيتين ـ وهما مدنيتان...

ومعلوم أن غسل الجنابة لم يفترض قبل الوضوء ، كما أنه معلوم عند جميع أهل السير أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم منذ افترضت عليه الصلاة بمكة لم يصلِّ إلا بوضوء ـ مثل وضوئنا اليوم ـ وهذا ما لا يجهله عالم ، ولا يدفعه إلا معاند .

وفيما ذكرنا دليل على أن آية الوضوء إنما نزلت ليكون فرضها المتقدم متلواً في التنزيل . ولها نظائر كثيرة ليس هذا موضع ذكرها .

وفي قوله ـ في حديث مالك ـ فنزلت آية التيمم ـ ولم يقل آية الوضوء ـ ما

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : باب : ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ من سورة المائدة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب التيمم ، رقم (١٠٨ ، ١٠٩).

(٢) التمهيد (١٩ : ٢٧٩) وذكر الحافظ رحمه الله تعالى ملخصه في فتح الباري (١ : ٤٣٤) والإمام السيوطي رحمه الله تعالى في الإتقان (١ : ٣٦).

يتبين به أن الذي طرأ إليهم من العلم في ذلك الوقت حكم التيمم ، لا حكم الوضوء ، والله تعالى أعلم.اهـ.

قلت : وحديث الباب الذي ذكرته ، والذي فيه فنزلت : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ دليل على أن المراد بالآية آية المائدة ، لا آية النساء . ولهذا أخرج البخاري رحمه الله تعالى هذا الحديث في تفسير آية المائدة .

ومما يدل على وجود الوضوء في العهد المكي قبل الهجرة إلى المدينة :

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : دخلت فاطمة رضي الله تعالى عنها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وهي تبكي ، فقال : « يا بُنَيَة ؛ ما يبكيك ؟ » قالت : يا أبت ما لي لا أبكي ، وهؤلاء الملأ من قريش في الحِجْر ، يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك ، وليس منهم رجل إلا وقد عرفَ نصيبَه من دمك . فقال : « يا بُنَيَة ؛ ائتني بوَضوء » فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ثم خرج إلى المسجد ، فلما رأوه قالوا : هاهو ذا ، فطأطؤوا رؤوسهم ، وسقطت أذقانُهم بين ثديهم ، فلم يرفعوا أبصارهم ، فناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قبضة من تراب ، فحصبهم بها ، وقال : « شاهت الوجوه » . فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصاته إلا قتل يوم بدر كافراً . رواه أحمد وابن حبان والحاكم ـ وصححاه ـ وأقره الذهبي ، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل ، وعزاه الهيثمي في المجمع لأحمد برجال الصحيح[1] .

فهذا دليل صريح على وجود الوضوء قبل نزول آيته ، وما كان فعله إلا عن

(١) مسند أحمد (١ : ٣٠٣ ، ٣٠٨) والمستدرك (١ : ١٦٣) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٤٣٠) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٢٤٥ – ٢٤٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٤٠) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٢٨).

وحي اتبعه عليه وآله الصلاة والسلام ، ولكنه لم يكن متلواً ، ثم نزل الأمر به ليكون متلواً ، والله تعالى أعلم .

ب ـ من المعلوم أن سورة المائدة مدنية بالإجماع ، وأنها آخر سورة ـ أو من آخر سورة ـ نزلت في المدينة المنورة[1] . كما أن سورة النساء هي الأخرى مدنية . وقد جاء فيهما آيتان تأمران بالغسل ، تعرف الأولى ـ في النساء ـ بآية التيمم ، والثانية ـ المائدة ـ بالوضوء .

قال الله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ... ﴾[2] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ... ﴾[3] .

وإذا كانت هذه الآية قد نزلت في غزوة المريسيع ـ بني المصطلق ـ وهي في السنة السادسة فقد قيل في الآية الأولى ـ آية النساء ـ أنها نزلت في هذه الغزوة أيضاً[4] .

وعلى كل الأحوال فالصلاة قد فرضت في مكة قبل الهجرة ، والله تعالى أمر في هذه الآية بالطهارة ، والصلاة لا تصح بدون طهارة ، وقد كانوا يتطهرون قبل نزول هذه الآية ، وما كان ذلك إلا بوحي خفي غير متلو .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢ : ٢) وفتح القدير (٢ : ٣) فقد ذكرا عدداً من الأحاديث في ذلك .

(٢) سورة النساء (٤٣).

(٣) سورة المائدة (٦).

(٤) انظر تفسير القرطبي (٥ : ٢١٤ – ٢١٦).

نعم كانت الغسل على مرحلتين . الأولى كانت في أول الهجرة ، واستمرت زمناً ، وهي فيما إذا واقع الرجل زوجته ولم ينزل ، فلا يجب عليه الغسل .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مر على رجل من الأنصار [عند مسلم : وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على باب عتبان] فأرسل إليه ، فخرج ورأسُه يقطر ، فقال : « لعلنا أعجلناك ؟ ». قال : نعم يا رسول الله ، قال : « إذا أُعْجِلْتَ أو أَقْحَطْتَ فلا غُسل عليك ، وعليك الوضوء ». متفق عليه(١).

ومعنى أعجلت ، أقحطت : إذا جامع فلم ينزل .

وزاد في رواية لمسلم(٢) : قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنما الماء من الماء ».

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه ، أنه سأل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال : أرأيت إذا جامع الرجلُ امرأتَه فلم يُمْنِ ؟ قال عثمان : يتوضأ كما يتوضأُ للصلاة ، ويغسل ذَكَرَه . قال عثمان رضي الله تعالى عنه : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فسألت عن ذلك عليَّ بن أبي طالب والزبيرَ بن العوام ، وطلحةَ بن عبيد الله ، وأبيَّ بن كعب رضي الله تعالى عنهم فأمروه بذلك . متفق عليه ، واللفظ للبخاري(٣).

وقد جاء عندهما(٤) أيضاً : عن أُبيٍّ وأبي أيوب رضي الله تعالى عنهما التصريحُ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين ،... وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب إنما الماء من الماء ، رقم (٨٠ ، ٨٣).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨١).

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وكتاب الغسل : باب غسل ما يصيب من فرج المرأة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨٦).

(٤) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم =

بسماعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ومع صحة هذه الأحاديث فهي منسوخة ، لأنها كانت في أول الهجرة ، ويدل على نسخها :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إذا جلس بين شُعَبِها الأربع ، ثم جَهَدَها ، فقد وجب عليه الغسل ». متفق عليه[1].

زاد مسلم : « وإن لم ينزل ».

فقوله في رواية مسلم : « وإن لم ينزل » صريح في وجوب الغسل على مجرد الإيلاج ولو من غير إنزال . وأصرح منه ما يلي :

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الرجل يجامعُ أهلَه ثم يُكْسِل ، هل عليهما الغُسْل ؟ وعائشة جالسة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني لأفعل ذلك أنا وهذه ، ثم نغتسل ». رواه مسلم[2].

ولذلك حصل خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم هل الإيلاج مع عدم الإنزال يوجب الغسل أم لا ، حتى رجعوا إلى أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن فأفتوهن بوجوبه .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والأنصار ، فقال الأنصاريون : لا يجب الغُسل إلا من الدَّفْق أو من الماء ،

= (٨٤ - ٨٦).

(١) صحيح البخاري : كتاب الغسل : باب إذا التقى الختانان . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب نسخ «الماء من الماء» ووجوب الغسل بالتقاء الختانين ، رقم (٨٧).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨٩).

وقال المهاجرون : بل إذا خالط فقد وجب الغُسل . قال : قال أبو موسى : فأنا أَشفيكم من ذلك ، فقمت ، فاستأذنت على عائشة ، فأُذن لي ، فقلت لها : يا أماه (أو يا أم المؤمنين) ؛ إني أريد أن أسألك عن شيء ، وإني أستحْييك ، فقالت : لا تستحي أن تسألني عما كنتَ سائلاً عنه أُمَّك التي ولدتك ، فإنما أنا أُمُّك . قلت : فما يوجب الغُسل ؟ قالت : على الخبير سقطتَ ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إذا جلس بين شُعبها الأربع ، ومسَّ الختانُ الختانَ ، فقد وجب الغُسل ». رواه مسلم[1].

بل إن خروج الماء ولو كان في المنام فإنه يوجب الغسل .

فعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : جاءت أم سُلَيم امرأةُ أبي طلحةَ - رضي الله تعالى عنها - إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقالت : يا رسول الله ؛ إن الله لا يستحْيي من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نعم ، إذا رأت الماء ». متفق عليه[2].

وقد رواه مسلم[3] من حديث عائشة وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما أيضاً .

جـ - من الثابت أن الصلوات الخمس فُرضت ليلة الإسراء والمعراج ، فرضت أول ما فرضت خمسين ، ثم رحم الله تعالى هذه الأمة بمراجعة رسولها صلى الله عليه وآله وسلَّم ومشورة موسى عليه السلام ، فخفف الله تعالى الصلاة إلى خمس ،

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الغسل : باب إذا احتلمت المرأة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب وجوب الغسل على المرأة يخرج المني منها ، رقم (٣٢).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحيض : الباب السابق ، رقم (٢٩ - ٣٣).

فهي خمس في الأداء ، وخمسون في الثواب والحساب .

لكن ثبت أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يصلي قبل فرض الصلاة عليه في ليلة المعراج ، بل كان يصلي صلى الله عليه وآله وسلَّم بعد بدء الدعوة ، ويدل على هذا :

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قائم يصلي عند الكعبة ، وجمعُ قريشٍ في مجالسهم ، إذ قال قائل منهم : ألا تنظرون إلى هذا المرائي ؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمِد إلى فرثها ودمها وشلاها فيجيء به ، ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ؟ فانبعث أشقاهم ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وضعه بين كتفيه ، وثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ساجداً ، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك ،... فلما قضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الصلاة قال : « اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، ثم سمى : اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي مُعَيط ، وعمارة بن الوليد ».

قال عبد الله : فوالله لقد رأيتهم صرعىٰ يوم بدر . متفق عليه[1].

وهذه الحادثة كانت قبل الهجرة إلى الحبشة ، لأن فيها الدعاء على عمارة بن الوليد ، وهو الذي أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشي ليرد إليهم من هاجر من المسلمين ، وبقي عمارة في الحبشة حتى مات[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب ما لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم من أذى المشركين ، رقم (١٠٧ ، ١٠٨).

(٢) انظر إرسال عمرو وعمارة إلى الحبشة : الروض الأنف (٢ : ٩١) ومجمع الزوائد (٦ : ٢٣ - ٣٢) وفتح الباري (٧ : ١٦٧) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣١٧ - ٣٣١).

بل هناك روايات تبين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد صلى قبل ذلك الوقت .

ففي قصة إسلام أبي ذر رضي الله تعالى عنه : وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى استلم الحَجَر وطاف بالبيت هو وصاحبه ، ثم صلى ، فلما قضىٰ صلاتَه ؛ قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه : فكنت أولَ من حياه بتحية الإسلام ، قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله . فقال : « وعليك ورحمة الله » ،... الحديث ، رواه مسلم[1].

وفي الرواية الثانية عنده أيضاً : فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فطاف بالبيت ، وصلى ركعتين خلف المقام ،... الحديث .

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال : ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ونحن نصلي ببطن نخلة ، فقال : ماذا تصنعان يا ابن أخي ؟ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى الإسلام ، فقال : ما بالذي تصنعان بأس ، ولكن لا تعلوني أستي أبداً . رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ، وقال الهيثمي : إسناده حسن[2].

وعن عفيف الكندي رضي الله تعالى عنه قال : كنت امرءاً تاجراً ، فقدمت الحج ، فأتيت العباسَ بنَ عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة ، وكان امرءاً تاجراً ، فوالله إني لعنده بمنى ، إذ خرج رجل من خباء قريب منه ، فنظر إلى الشمس ، فلما رآها مالت ـ يعني ـ قام يصلي ، قال : ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه ، رقم (١٣٢).

(٢) مسند أحمد (١ : ٩٩) والبحر الزخار (٢ : ٣١٩ - ٣٢٠) ومسند الطيالسي (٢٦ رقم ١٨٨) وكشف الأستار (٣ : ١٨٢) ومجمع الزوائد (٩ : ١٠٢).

خرج منه ذلك الرجل ، فقامت خلفه تصلي ، ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي . قال : فقلت للعباس : من هذا يا عباس ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابنُ أخي ، قال : فقلت : من هذه المرأة ؟ قال : هذه امرأته خديجة بنت خويلد ، قال : قلت : من هذا الفتى ؟ قال : هذا علي بن أبي طالب ابنُ عمه ، قال : فقلت : فما هذا الذي يصنع ؟ قال : يصلي ، وهو يزعم أنه نبي ، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا ،... الحديث ، وفي آخره يقول عفيف رضي الله تعالى عنه : لو كان الله رزقني الإسلامَ يومئذ فأكونَ ثالثاً مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه . رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، والبيهقي في الدلائل وابن إسحٰق في السيرة وابن سعد في الطبقات وحسنه ابن عبد البر ، وقال الهيثمي : رجال أحمد ثقات[1]. وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه .

وكذا ما جاء عن الصحابة في الحبشة من أمر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم بالصلاة ، حيث جاء عن عدد منهم[2].

ويكفي ما في الصحيحين حيث ما ذكرته كان قبل الإسراء والمعراج ، والله تعالى أعلم .

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٠٩ – ٢١٠) ومسند أبي يعلى (٣ : ١١٧ – ١١٨) والتاريخ الكبير (٧ : ٧٤ – ٧٥) وخصائص علي (٢٣) بنحوه ، والمستدرك (٣ : ١٨٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ١٦٢ – ١٦٣) والطبقات الكبرى (٨ : ١٧) والاستيعاب (٣ : ٣٣ ، ١٦٣ – ١٦٥) ومجمع الزوائد (٩ : ١٠٣ ، ٢٢٢) والإصابة (٤ : ٥١٥ – ٥١٦).

(٢) انظر : مجمع الزوائد (٦ : ١٦ ، ٢٥ – ٢٧ ، ٣٠ – ٣١) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٢٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٢٩٩ – ٣٠٢).

د ـ لما وصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ صلى الجمعةَ في طريقه ، وهو متوجه من قباء إلى المدينة ، في وادي رانوناء ـ في بني سالم بن عوف ـ في المكان المعروف بمسجد الجمعة ، ثم استمر صلى الله عليه وآله وسلَّم يصلي الجمعةَ في المدينة كلَّ أسبوع ، ولم يكن قد أُمر صلى الله عليه وآله وسلَّم بصلاة الجمعة ، وليس في القرآن آية توجب ذلك ، إنما نزلت سورة الجمعة بعد هذا الوقت ، في قصة عير عبد الرحمٰن رضي الله تعالى عنه ، فكيف كان يصليها صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟

قال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1] .

ففي هذه الآيات : الأمر بحضور صلاة الجمعة إذا نودي إليها . وترك البيع والشراء ، ثم الانتشار بعد انتهائها ، والابتغاء من فضل الله عز وجل ، وكثرة ذكر الله عز وجل ، حتى ينالوا الفلاح ، كما ذكرت الآياتُ الشريفةُ العتابَ من الله تعالى على ما كان قد حصل من بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة ، وتركهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قائماً على المنبر يخطب ، وذهبوا لحضور التجارة التي قدمت المدينة من الشام يومئذ .

ومن الثابت عن عامة أهل العلم من المغازي والسير والمحدثين والفقهاء... أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يصلي الجمعة قبل نزول هذه الآيات ،

---

(١) سورة الجمعة (٩ – ١١).

بدلالتين :

الأولى : قوله سبحانه وتعالى في هذه الآيات : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ ﴾ أسرعوا إلى التجارة ، وتركوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قائماً على المنبر يخطب .

والثانية : سبب نزول هذه الآية هو ما حصل من ترك كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم المسجد ، والخروج للعير القادمة من الشام ، وتركهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قائماً على المنبر يخطب .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قائم يخطب [وفي رواية : بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم] يوم الجمعة ، إذ قدمت عير [من الشام ، تحمل طعاماً] إلى المدينة ، فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً ، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما [زاد مسلم : أنا فيهم] قال : ونزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ متفق عليه[1].

فكيف صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم والمسلمون معه الجمعةَ قبل نزول الأمر بها ؟ مع أن الآية الكريمة تنص على أن نزولها كان بعد فعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم لها ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، قد صلى الجمعةَ أول مرة في أول الهجرة ؛ عندما خرج من قباء ، وأدركته صلى الله عليه وآله وسلَّم صلاة الجمعة عند بني سالم بن عوف[2]. فصلى فيهم ، في المسجد

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجمعة : باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ ﴾، رقم (٣٦ – ٣٨).

(٢) انظر : فضائل المدينة المنورة (٣ : ٥ – ٨).

المعروف إلى اليوم بمسجد الجمعة ، وهو على يمين القادم من قباء إلى المدينة .

فبأي شيء صلوها ؟ والجواب على ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ ، والله تعالى أعلم .

هـ ـ إن آيات الحج كانت قد نزلت في المدينة ، وآيات الحج جاءت في القرآن الكريم في سور البقرة وآل عمران والتوبة والحج[1]. وكلها سور مدنية .

وذهب الجمهور على أن سَنَة فرض الحج كان سنة ست[2] ، لأنها نزل فيها قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾[3].

ومع هذا فقد ثبت أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم قد حج قبل الهجرة .

فعن جُبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال : أضللت بعيراً لي ، فذهبتُ أطلبه يوم عرفه ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم واقفاً مع الناس بعَرَفَة ، فقلت : والله إن هذا لمن الحُمْس ، فما شأنه هٰهنا ؟ وكانت قريشٌ تُعد من الحُمْس . متفق عليه[4].

والحُمْس : قريش ومن ولدته قريش ، وكنانة وجديلة قيس . وسمّوا حُمْساً لأنهم تحمسوا في دينهم ، أي تشددوا .

وقد كانت قريش يقفون في مزدلفة ، كما قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى

---

(١) انظر أرقام الآيات : سورة البقرة (١٥٨ ، ١٨٩ – ١٩٧) آل عمران (٩٧) التوبة (٣ ، ١٩) الحج (٩٧).

(٢) انظر : المجموع (٧ : ٧٥) وفتح الباري (٣ : ٣٧٨).

(٣) سورة البقرة (١٩٦).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب الوقوف بعرفة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب في الوقوف ، رقم (١٥٣).

عنها ، كما أن سائر الناس يقفون في عرفة ، فلما جاء الإسلام أمر الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يأتي عرفات ، فيقف بها ، ثم يفيض من حيث منها ، ولذلك قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾[1]. والحديث متفق عليه[2].

وجُبير بن مطعم لم يكن مسلماً عندما رأى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم واقفاً بعرفة ، ثم أسلم بعد ذلك .

وهذا الحديث يدل على حجه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد خالف قومه الذين لا يقفون في عرفات بل في مزدلفة ، وذلك كله توفيق من الله تعالى ، وإلهام منه عز وجل أوحاه إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

وهناك أمور كثيرة فعلها صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولما نزل فيها القرآن الكريم ، اكتفيت بما ذكرت للتذكير ، لأنه لو ثبت أمر واحد كان دالّاً على وجود وحي خفي ـ غير القرآن الكريم ـ فكيف بوجود كثير من الأحكام .

و ـ وأذكر حكماً آخر قد أفتى صلى الله عليه وآله وسلَّم بحكم ، فنزل القرآن الكريم مؤيداً لما كان قد قاله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، للدلالة على أن ما كان قد قاله صلى الله عليه وآله وسلَّم : هو وحي .

عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من حلف على يمين كاذباً ليقتطع مالَ الرجل ـ أو

---

(١) سورة البقرة (١٩٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة البقرة : باب ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾. وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٥١).

قال : أخيه ـ لقيَ الله وهو عليه غضبان ». وأنزل الله عز وجل تصديق ذلك في القرآن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ـ إلى قوله ـ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1].

[قال أبو وائل] : فلقيني الأشعث فقال : ما حدَّثكم عبدُ الله اليومَ ؟ قلت : كذا وكذا .

قال : فيَّ نزلت . متفق عليه[2].

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، كفرض الزكاة مثلاً كان في أول الهجرة ، بينما آية مصارفها ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ... ﴾ كان في السنة التاسعة ،...إلخ[3].

وما ذكرته كاف للتدليل على أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يأتيه وحي آخر ، غير وحي القرآن الكريم ـ وهو وحي السنة ـ وهو الوحي الخفي ، والله تعالى أعلم .

والنصوص في هذا النوع كثيرة ، إنما ذكرت ما يناسب هذا المختصر ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، والله تعالى أعلم .

ومن النوع الثاني : وهو ما جاء في جزئيات خاصة .

والآيات القرآنية في هذا الباب كثيرة جدّاً ، ذكرت كثيراً منها في الأصل ، لذا فإني سأقتصر ـ بإذن الله تعالى ـ على ستة نصوص فقط ، كما فعلت في الأدلة السابقة ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل .

---

(١) سورة آل عمران (٧٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا... ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ، رقم (٢٢٠ – ٢٢٢).

(٣) انظر الإتقان للسيوطي (١ : ٣٦ – ٣٧).

١ ـ إظهار الله تعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على ما حكته أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها :

لقد دار حديث بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين إحدىٰ أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن فأسرَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها أمراً ، وطلب منها عدم إفشائه ، ولكنها أفشته ، فأطلع الله تعالى نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على ذلك ، فلما أخبرها به عجبت ، وظنت أن إحدىٰ ضرائرها أخبرته ، فأخبرها صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الله تعالى هو الذي أطلعه عليه .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[١] .

فقوله تعالى : ﴿ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ يعني أخبره بما كانت أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ـ التي أَسَرَّ إليها النبيُّ المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ قد أفشت الحديثَ الذي أسرَّه إليها . فهل هذا الإظهارُ موجودٌ في القرآن الكريم ؟ لا ، إنما كان بينَ الله تعالى وبين نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث أطلعه تعالى على ما فعلَتْ أمُّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها .

ومما يدل على ذلك أيضاً : آخر الآية : ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ والإنباء وحي كما هو معلوم .

وإذا كان الإظهارُ من الله جل شأنه لنبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ والإنباء وحي ، وهو غيرُ مكتوب ، ولا موجود في القرآن ـ دل على أنَّ من الوحي ما هو ليس بمكتوب ، وأن ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة التحريم (٣).

وآله وسلَّم إنما هو بإيحاء الله تعالى له ، وإنبائه إياه ، وأن السنةَ النبوية وحيٌ ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لا ينطق عن الهوىٰ ، إنما يتبع ما يوحىٰ إليه ، خاصة وأن مثلَ هذا الأمر الذي كان من أم المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً أمرٌ مخفي ؛ لا يعلمه إلا الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

٢ ـ إطلاع الله تعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على الغيب :

لقد نفى الله تعالى عن الخلق جميعاً علمَ الغيب ، وحصر تعالى ذلك به سبحانه وتعالى ، فهو له تعالى لا يملكه أحد ، وقد جاء ذلك في عدد من الآيات القرآنية الكريمة .

قال الله عز وجل : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2] .

لكن الله جل شأنه استثنىٰ من ذلك من يُطلعه تعالى من رسله عليهم السلام ـ سواء من الملائكة ، أو من البشر ـ على غيبه .

فقال تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾[3] .

فإذا اختار الله تعالى ذلك الرسولَ ، وأطلعه على غيبه ؛ خصه عز وجل بمزيد عناية ، حيث يجعل الله تعالى بين يديه حفظةً يحفظونه ، ويساوقونه على ما معه

(١) سورة يونس (٢٠).

(٢) سورة النمل (٦٥).

(٣) سورة الجن (٢٦ – ٢٨).

من الوحي ، ويحرسونه من شياطين الإنس والجن .

وإطلاعُ الله تعالى رسولَه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على بعض ما عنده تعالى من الغيب قد ظهر جليّاً من الأحاديث الكثيرة التي تحدَّثت عما علمه صلى الله عليه وآله وسلَّم من الغيوب ؛ التي لا يمكن أن تكون إلا بوحي ، سواء من ذكر الغيبِ السحيقِ في القدم ، أم من الغيبِ البعيدِ القادم ، أو غيرهما ، وقد توسعت في بيان ذلك في : (أشراط الساعة) لذا فإني أقتصر هنا على أربعة أحاديث عامة ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الكتاب المذكور ومختصره ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : قام فينا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم مقاماً ، فأخبرنا عن بدء الخلق ، حتى دخل أهلُ الجنة منازلهم ، وأهلُ النار النارَ . رواه البخاري[1].

أي أخبرهم صلى الله عليه وآله وسلَّم من بدء الخليقة ، إلى قيام الساعة ، والانتهاء من الحساب ، ودخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا عن وحي ، لأنه ليس للعقل في هذا المضمار نصيب ولا مجال ، ولا للاجتهاد فيه مسرح ، إنما هو من مشكاة النبوة .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مقاماً ، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيتُه ، فأراه ، فأذكره ، كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾.

غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وقوله رضي الله عنه : (ما ترك شيئاً) يعني أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لم يترك أمراً مهمّاً ذا بال ؛ يحتاجون إلى معرفته ؛ إلا أخبرهم صلى الله عليه وآله وسلَّم به ، والله تعالى أعلم .

وعن عَمْرو بنِ أخطب الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الفجرَ ، وصعد المنبرَ ، فخطبنا حتى حضرت الظهرُ ، فنزل فصلّى ، ثم صعد المنبرَ ، فخطبنا حتى حضرت العصرُ ، ثم نزل فصلّى ، ثم صعد المنبرَ ، فخطبنا حتى غربت الشمسُ ، فأخبرنا بما كان ، وبما هو كائن ، فأعلمُنا أحفظنا . رواه مسلم[2].

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فما منه شيء إلا قد سألتُه عنه ، إلا أني لم أسأله : ما يُخرج أهلَ المدينة من المدينة ؟ رواه مسلم[3].

وكثير مما قاله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأخبر به أصحابَه رضي الله تعالى عنهم : قد وقع وفق ما قال ، وكلُّ ذلك لا يمكن أن يكون من قدرة البشر ، إنما هو من وحي الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، خاصة وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم قد تكلم عن الماضي السحيق ـ وهو بدء الخليقة ـ والقادم البعيد ـ وهو دخول أهل الجنة منازلَهم ، وأهل النار منازلهم ـ كما ذكر ما بين هذين

---

(١) صحيح البخاري : كتاب القدر : باب ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فيما يكون إلى قيام الساعة ، رقم (٢٣).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٥).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤).

الزمنين من حوادث وأخبار مهمة ووقائع ،... وكل ذلك داخل في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ .

خاصة والنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ بأبي هو وأمي ـ هو نبيٌّ أُمِّيٌّ لم ولن يقرأ ، ولم يكتب ، ما كان ولا يكون له ذلك ، ولم يَطِّلع على كتب الأقدمين[1] إنما هو مِن أنباء الغيب الذي يوحيه الله تعالى إليه ، ولهذا تكرر قوله تعالى ـ بعد ذكر أحوال الأمم السابقة ـ : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[2] .

فإذا أضيف إلى ذلك قولُه سبحانه وتعالى : ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[3] ومع هذا لم يُذكر من أشراط الساعة في القرآن الكريم شيء ، إنما جاء بيانُها مبينةً مفصَّلةً في السنة النبوية الشريفة ؛ علمنا أن ما قاله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ليس من عنده ، لأن ذلك كلَّه من الغيب ، وإنما هو الوحي غيرُ المتلو ، وهو السنة النبوية . وقد توسعت في بيان ذلك في : (أشراط الساعة) والله تعالى أعلم .

٣ ـ ما وعد الله تعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم بدر :

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من المدينة المنورة إلى بدر ، لتلقي عِير قريش ، وخرج زعماء قريش لمنع عِيرهم ، ولملاقاة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم ـ وذلك كله بتقدير الله تعالى ليقضي أمراً كان مفعولاً ـ وعده الله تعالى إحدىٰ الطائفتين ؛ العير أو النفير ، فلما سلمت العيرُ ، وتعين النفيرُ : استشار رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) انظر : أُمِّيَّة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلَّم والرد على منكِريها ، فقد توسعت في بيان ذلك ، وذكرت عشرات الأدلة على أُمِّيَّته صلى الله عليه وآله وسلَّم .

(٢) سورة آل عمران (٤٤) ، وسورة يوسف (١٠٨).

(٣) سورة محمد (١٨).

وسلَّم أصحابَه رضي الله تعالى عنه في ملاقاة المشركين ، فتكلم الصديق ، ثم الفاروق ، ثم المقداد رضي الله تعالى عنهم ، وكره بعضُهم ذلك قائلاً : لم نستعد له ، ثم تكلم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه ، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بكلامه ، ثم قال : « سيروا ، وأبشروا ؛ فإن الله قد وعدني إحدىٰ الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم »[1].

فإخبار النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بوعد الله تعالى له إحدىٰ الطائفتين أنها له كان سابقاً على بدء المعركة ، وعلى نزول هذه الآيات ، ولهذا ظهرت منه صلى الله عليه وآله وسلَّم عبارات تدل على المطالبة بتحقيق هذا الوعد ، كما ظهرت عبارات منه صلى الله عليه وآله وسلَّم تبين تحقيق هذا الوعد .

لذا صار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يسأل ربَّه عز وجل - في العريش - قبل بدء المعركة بيوم تنفيذَ ما وعده تعالى به ، حتى سقط رداؤه عن كتفيه ؛ من شدة إلحاحه في الدعاء ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من الخيمة ، وهو يثب في الدرع ، وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ فأراهم صلى الله عليه وآله وسلَّم مصارع القوم قبل بدء المعركة بيوم ، وهو يقول لهم : « هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله » فما زاول واحد من الذين عينهم صلى الله عليه وآله وسلَّم مكانَه بالأمس . كما سيأتي بيانه في الأحاديث .

قال الله تعالى : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ٣٠٦) ودلائل النبوة (٣ : ٣٤ ، ١١٠).

لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وقد ورد ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، أقتصر على ذكر بعض تلك الأحاديث .

لما رأى صلى الله عليه وآله وسلَّم كفار قريش وقد نزلوا بدراً وهم بعددهم وعدتهم : طفق صلى الله عليه وآله وسلَّم يهتف بربه تعالى يسأله النصر وتحقيق الوعد .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى المشركين وهم ألفٌ ، وأصحابُه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم القِبلةَ ، ثم مدَّ يديه ، فجعل يهتف بربه : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم إن تُهْلِك هذه العصابةُ من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ». فما زال يهتف بربه مادّاً يديه ، مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبيَّ الله ؛ كذاك مناشدتُك ربَّك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . رواه مسلم[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال - وهو في قبةٍ يومَ بدر - : « اللهم أنشدك عهدَك ووعدَك ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم » فأخذ أبو بكر رضي الله تعالى عنه بيده فقال : حسبك يا رسول الله ؛ فقد ألححت على ربك - وهو يثب في الدرع ، فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ

(١) سورة الأنفال (٧).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، رقم (٥٨).

﴿ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ . رواه البخاري[1] .

فلما تحقق له صلى الله عليه وآله وسلَّم تنفيذ الله تعالى وعده طفق صلى الله عليه وآله وسلَّم يري أصحابه رضي الله تعالى عنهم أماكن مصارع القوم ، وذلك قبل المعركة بيوم أيضاً ، وهذا من الغيب الذي أطلع الله تعالى نبيه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع عمر - رضي الله تعالى عنه - بين مكة والمدينة ،... ثم أنشأ يحدِّثنا عن أهل بدر ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يُرينا مصارعَ أهل بدرٍ بالأمس . يقول : « هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله » .

قال : قال عمر رضي الله تعالى عنه : فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدودَ التي حدَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... رواه مسلم[2] .

زاد أنس رضي الله تعالى عنه : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هذا مصرع فلان » قال : ويضع يدَه على الأرض ، هٰهنا وهٰهنا . قال : فما ماط أحدُهم عن موضع يدِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . رواه مسلم[3] .

ولهذا خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قتلى كفار قريش بوعد الله تعالى ، حيث صار يناديهم بأسمائهم : « يا أبا جهل بن هشام ، ويا أمية بن خلف ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ؛... هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة اقتربت الساعة ،... : باب قوله تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾، وفي غيرهما .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، رقم (٧٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب غزوة بدر ، رقم (٨٣).

فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ». كما في حديث عمر وأنس رضي الله تعالى عنهما عند مسلم ، وحديث ابن عمر وأبي طلحة رضي الله تعالى عنهم عند البخاري[1].

ومن الآية والأحاديث السابقة يتضح ما يلي :

أ ـ كون هذا الوعد من الله تعالى كان قبل المعركة ، لأن سورة الأنفال نزلت بعدها ، وأن الوعد جاء بصيغة المضارع : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وكذا رغبة المسلمين : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ مما يدل على أن ذلك كله كان قبل بدء المعركة .

ب ـ إن هذا الوعد لم يكن موجوداً في القرآن الكريم يوم خروجه صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى بدر ، إذ لو كان موجوداً فيه لقرأه صلى الله عليه وآله وسلَّم عليهم ، مما يدل على أنه من الوحي غيرِ المتلوِّ ، أوحاه الله تعالى إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم قبل بدء المعركة ، وقبل نزول هذه الآية ، وأخبر به النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم قبل تحققه ووقوعه ، لأنه لو كان في القرآن الكريم قبل الوقوع ما كان لينشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك الإنشاد ، والله تعالى أعلم .

جـ ـ إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن الله تعالى وعده إحدىٰ الطائفتين ، وذلك قبل بدء المعركة ، وقبل نزول هذه الآية الكريمة .

د ـ مناشدته صلى الله عليه وآله وسلَّم ربه تعالى إنجاز ما كان قد وعده وتعهَّد به . وذلك قبل بدء المعركة . وهو النصر على المشركين ، حيث وعده إحدىٰ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب قتل أبي جهل ، وكتاب الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر . وصحيح مسلم : كتاب الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، رقم (٧٦ – ٧٧).

الطائفتين ، فلما نفدت العير ، بقي النفير ، وهذا السؤال والمناشدة إنما كان قبل المعركة ـ كما مر في الحديث ـ وقبل نزول سورة الأنفال ، مما يدل على أن ذلك لا كان إلا بوحي ، والله تعالى أعلم .

هـ ـ تحديده صلى الله عليه وآله وسلَّم مصارع القوم ـ واحداً واحداً ـ قبل قتلهم ، مع تحديده صلى الله عليه وآله وسلَّم مكان مصارعهم ، وذلك قبل بدء المعركة ، وهذا لا يمكن أن يكون بالاجتهاد ، وليس للعقل فيه مسرح ، لأنه من الغيب الذي أطلعه الله تعالى عليه . مما يدل على أن ما نطق به صلى الله عليه وآله وسلَّم هو من الوحي .

و ـ سؤاله صلى الله عليه وآله وسلَّم قتلى مشركي قريش ـ وهم في القليب ـ : هل وجدوا ما وعدهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ فإنه صلى الله عليه وآله وسلَّم وجد ما وعده الله تعالى حقّاً . كما في أحاديث ابن عمر وأبي طلحة عند البخاري ، وعمر وأنس رضي الله تعالى عنهم عند مسلم[1] .

وكل ذلك دالٌّ على أن هذا الوعد من الله تعالى إنما كان بوحيٍ خفيٍّ غير متلوٍّ ، ثم تحقَّق ، لأنه لا يمكن أن يكون بالاجتهاد ، ثم هو غير موجود في القرآن الكريم ، إنما هو وحيٌ من الله تعالى ، مما يدل على أن السنة النبوية وحي ، والله تعالى أعلم .

٤ ـ تحويل القبلة :

من المعلوم ضرورة أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كان

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر ، وكتاب المغازي : باب قتل أبي جهل . وصحيح مسلم : كتاب الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، رقم (٧٦ – ٧٧).

يتوجه إلى قبلةٍ ما معلومةٍ في صلاته ، والصلاة ركنٌ أساسيٌ من أركان الإسلام ، تلي الشهادتين مباشرة .

كما أن من المعلوم ضرورة أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم قد توجه إلى قبلةٍ وهو يصلي في مكة قبل الهجرة ، لأن الصلاة كانت مفروضة في مكة ليلة الإسراء والمعراج ، وإن كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يصلي قبل ذلك ، كما سبق بيانه .

كما أن من المعلوم ضرورة أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يتوجه إلى قبلةٍ في صلاته بعد الهجرة ، في المدينة المنورة .

وإذا كان الراجح أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يجعل الكعبة بين يديه في صلاته في مكة قبل الهجرة ، فإن من الثابت أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يتوجه إلى بيت المقدس مقدمه المدينة المنورة مهاجراً ، ومكث صلى الله عليه وآله وسلَّم ما يقرب من سبعة عشر شهراً كذلك ، ثم أمره الله عز وجل بالتوجه إلى الكعبة المشرفة في مكة المكرمة .

قال الله عز وجل : ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةٗ تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾[1].

أما توجهه صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو في مكة إلى بيت المقدس وجعله الكعبة بين يديه فيدل عليه ما يلي :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه ، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ، ثم صرف إلى الكعبة . رواه أحمد والطبراني في الكبير ، والبزار مختصراً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن أبي شيبة ، وأبي داود في ناسخه والنحاس والبيهقي ، ورجاله رجال الصحيح[2].

وأما بقاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة بعد الهجرة يصلي إلى بيت المقدس ، فيدل عليه حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما .

فعنه رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر ـ أو سبعة عشر ـ شهراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يُحب أن يُوجَّه إلى الكعبة ، فأنزل الله : ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فتوجَّه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس ـ وهو اليهود ـ : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ .

فصلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم رجل ، ثم خرج بعدما صلى ، فمرَّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلى

---

(١) سورة البقرة (١٤٢ – ١٤٤).

(٢) مسند أحمد (١ : ٣٢٥) والمعجم الكبير (١١ : ٦٧ رقم ١١٠٦٦) وكشف الأستار (١ : ٢١٠ – ٢١١) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٣) ومجمع الزوائد (٢ : ١٢) والدر المنثور (١ : ٣٤٣). وانظر : فتح الباري (١ : ٩٦) والمستدرك (٢ : ٢٦٧ – ٢٦٨).

مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرَّفَ القومُ ، حتى توجهوا نحو الكعبة . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1] .

وفي إحدىٰ روايتي مسلم : صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً .

فمن الذي أمره صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يتوجه إلى بيت المقدس ؟ سواء كان في مكة المكرمة ، أو في المدينة المنورة ، والآيات التي ذكرتها تدل دلالة لا تحتمل اللبس أن الذي وجهَّه صلى الله عليه وآله وسلَّم هو الله عز وجل .

فقوله جل شأنه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ دليل صريح أن الذي جعلها لنبيه صلى الله عليه وآله وسلَّم هو الله عز وجل .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ إشارة صريحة إلى القبلة السابقة ، قبل الأمر بالتحول عنها إلى الكعبة المشرفة .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ دليل صريح على أن المتصرف هو الله عز وجل ، ليظهر من الصادق في اتباعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيطيعه في التوجه إلى حيث أمر الله عز وجل ، ومن يرتد عن دينه ، والعياذ بالله عز وجل .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ صريح في إن صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة عظيم على النفوس ، إلا الذين هداهم الله عز وجل ، وصدقوا وأيقنوا وآمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب التوجه نحو القبلة حيث كان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ، رقم (١١ – ١٢).

وعلموا أن ما جاء به من عند الله تعالى ، وأنه لا ينطق عن الهوىٰ ، إنما يتبع ما يوحىٰ إليه ، وأن الله تعالى هو الفاعل والمتصرف ، لذا كان هؤلاء السادات رضي الله تعالى عنهم ثابتين غير مزعزعين ، حيث تحولوا إلى الكعبة بمجرد أن أخبروا بتحولها ، من غير تردد ، وقد توسعت في بيان ذلك في فضائل المدينة المنورة ، عند الحديث عن مسجد القبلتين .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس ، سواء كان في مكة قبل الهجرة ، أو في المدينة قبل تحول القبلة .

ففي حديث البراء رضي الله تعالى عنه السابق : أنه مات على القبلة قبل أن تُحوَّل رجالٌ وقتلوا ، فلم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ . لفظ البخاري[1] .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما وُجِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى الكعبة قالوا : يا رسول الله ؛ فكيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك ، الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ رواه أحمد والطيالسي والدارمي وأبو داود ، والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه ، وأقره الذهبي[2] .

فالله تعالى هو المتصرف ، أمرهم بالقبلة إلى بيت المقدس ، ثم حولهم إلى الكعبة ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب الصلاة من الإيمان ، وفي غيرهما .

(٢) مسند أحمد (١ : ٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٢٢ ، ٣٤٧) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، رقم (٤٦٨٠) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة البقرة ، رقم (٢٩٦٤) ومسند الطيالسي (٣٤٩ رقم ٢٦٧٣) وسنن الدارمي (١ : ٢٢٥ رقم ١٢٣٨) والمستدرك (٢ : ٢٦٩) وصحيح ابن حبان (٤ : ٦٢٠ – ٦٢١) والمعجم الكبير (١١ : ٢٧٨) .

فكيف يضيع ثواب صلاتهم إلى بيت المقدس ، وهو الذي كان قد أمرهم بالتوجه إليها ؟ حاشا وكلا .

وقد ذكر الحافظ رحمه الله تعالى[1] أسماء من كان قد مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم قبل التحول إلى الكعبة ، سواء في مكة ، أو في الحبشة من مهاجرتها ، أو في المدينة من الأنصار ، وهم عشرةٌ متفقٌ عليهم ، كما ذكر من اختلف في إسلامه من غيرهم أيضاً .

وقوله تعالى : ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ دليل على أن التوجه إلى بيت المقدس ليس اجتهاداً من عند النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل هو أمر رباني ، ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلَّم ينظر إلى السماء ، مقلباً بصره ، ينتظر أمر الله عز وجل ، لعله يحول إلى الكعبة المشرفة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةً تَرۡضَىٰهَاۚ ﴾ فيه أمران :

ـ إن الله تعالى هو المتصرف ، ولم يكن ذلك اجتهاداً من عند النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فكما وجهه إلى بيت المقدس يأمره الآن بالتوجه إلى قبلة يريدها ويهواها ويرضاها .

ـ كما أن هذا النص الكريم فيه دلالة على أن التوجه إلى بيت المقدس في الأمر الأول ليس باجتهاده صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إنما هو تنفيذ لأمر الله تعالى ، وإلا فإنه صلى الله عليه وآله وسلَّم يرضى بالكعبة قبلة ، لذا حوَّله تعالى إليها ، مما يدل على أن التوجه إلى بيت المقدس هو أمر رباني .

ـ كما يدل على أن الوحيين بقوة واحدة ، وحالة واحدة بالنسبة للنبي المصطفى

---

(١) فتح الباري (١ : ٩٨).

الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، سواء نزل كتاب ، أم لم ينزل كتاب ، إنما العبرة بالأمر الرباني .

لهذا جاء الأمر الرباني له صلى الله عليه وآله وسلَّم بالتوجه إلى الكعبة أين ما كان ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ .

لهذا لما أنكر اليهود ومن على شاكلتهم هذا التحول علمه الله تعالى الجواب ، والرد عليهم بأن لله تعالى ملك المشرق والمغرب وما بينهما ، يهدي من يشاء من خلقه إلى الطريق القويم .

وبعد ، فهذه الآيات صريحات في أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما توجه إلى بيت المقدس ـ سواء كان في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة قبل التحول ـ ليس باجتهاده ، إنما هو بأمر الله تعالى له ، وهذا الأمر ليس موجوداً في القرآن الكريم ، إنما هو وحي خفي ، اتبعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لذا كان يرغب أن يوجه إلى الكعبة المشرفة ، فوُجِّه إليها ، تحقيقاً لرغبته ورضاه ، وأمر الله تعالى .

وهذا التوجه الأول كان بمكة ـ كما مر ـ وهو مذهب الجمهور أيضاً ، وهذه الآيات مدنية كما هو معلوم أيضاً ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ فتح مكة ، مع وجود التحريم لها :

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن مكة المكرمة بأنها حَرَمٌ ، وحَرَمٌ آمن يحرم فيها القتال ،... وقد ذكر الله تعالى منته على أهل مكة كيف فعل جل شأنه بأصحاب الفيل ، الذين أرادوا انتهاك هذه الحرمة ، وهدمَ الكعبة ، وجعل المولى تعالى ذلك آية في كتابه إلى يوم الدين ، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[1].

وقد كثرت الآيات القرآنية في بيان حرمة مكة، وتحريمها.

قال الله تعالى ـ على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

وقال جل شأنه ـ عن أهل مكة ـ: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

وقال جل وعز: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾[4].

وقد تكرر ذكر المسجد الحرام خمسة عشر (١٥) مرة في كتاب الله تعالى، كما تكرر ذكر البيت الحرام مرتين أيضاً ـ في سورة المائدة ـ وكل هذا دال على تحريم مكة، وأن الذي حرَّم ذلك هو الله عز وجل، ولم يحرمها الناس،... ومقتضىٰ هذا التحريم ـ كما بيّنته السنة النبوية ـ تحريم القتال، وسفك الدماء، وحمل السلاح للقتال،... كما هو الحال في تحريم الصيد والشجر،...

ومع هذا فقد أذن الله سبحانه وتعالى لنبيه وصفيه وخليله وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلَّم بفتح مكة المكرمة، وقد أعلن صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الله سبحانه أحلَّها له ساعة من نهار، حتى دخلها صلى الله عليه وآله وسلَّم،

---

(١) سورة الفيل (١ – ٥).

(٢) سورة النمل (٩١).

(٣) سورة القصص (٥٧).

(٤) سورة العنكبوت (٦٧).

ومعه جند الله تعالى من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم ، ففتحها ، وطهَّرها ، وهدم الأصنام ، وحطم الأوثان ، وغسل الرجس ، وأزاح الستار المظلم عنها ،... وأباح دم عدد من أفراد أهلها ، فقتل بعضهم ،... ثم عادت حرمتها إليها من جديد كما كانت .

وقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم تبيّن إباحة الله تعالى وتسليطه رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم في تلك الساعة التي أباح له فيها مكة ، أقتصر على ذكر ثلاثة أحاديث فقط :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : لما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم مكة ؛ قام في الناس ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلّط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنها لم تحل لأحد كان قبلي ، وإنها أُحلَّت لي ساعةً من نهار ، وإنها لن تحلّ لأحد بعدي ،... ». الحديث ، متفق عليه[1].

وعن أبي شُريح رضي الله تعالى عنه قال لعمرو بن سعيد : أيها الأمير ؛ أُحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، الغدَ من يوم الفتح ، سمعتْه أُذناي ، ووعاه قلبي ، وأبصرته عيناي حين تكلّم به ، أنه حمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « إن مكة حرَّمها الله ، ولم يحرّمها الناس ، فلا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ،... فإنْ أحد ترخّص بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أُذِن لي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب كتابة العلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ،... رقم (٤٤٧ - ٤٤٨).

فيها ساعةً من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهدُ الغائبَ ». متفق عليه[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم الفتح ـ فتح مكة ـ : « إن هذا البلدَ حرّمه الله يوم خلق السمٰوات والأرض ، فهو حرامٌ بحرمةِ الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحلَّ القتالُ فيه لأحدٍ قبلي ، ولم يحلّ لي إلا ساعةً من نَهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ،... ». متفق عليه[2].

فيلاحظ في هذه الأحاديث إعلان النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم تحريم مكة ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي حرّمها يوم خلق السمٰوات والأرض . ويعلن فيها أيضاً صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الله سبحانه وتعالى أباحها له ساعة من نهار ، وأذن له ولم يأذن لأحد سواه ، وأحلّها له ساعةً من نهار ، وسلَّطه عليها والمؤمنين ، ثم رجعت حركتها اليوم كحرمتها بالأمس .

فهل هذه الإباحة ، ودخول مكة بوحي أم لا ؟

لقد أثنىٰ الله سبحانه وتعالى على هذا الفتح ، حتى جعله سبحانه وتعالى علامةً لنبيِّه وصفيِّه صلى الله عليه وآله وسلَّم على اقتراب أجله ، كما قال جل شأنه : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب ليبلغ العلمَ الشاهد الغائب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٤٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب جزاء الصيد : باب لا يحل القتال بمكة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٤٥).

(٣) سورة النصر (١ – ٣).

ولهذا لما سأل عمر رضي الله تعالى عنه الصحابة رضي الله تعالى عنهم - الذين اعترضوا عليه إدخال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معهم في مجلسه - عن تأويل هذه السورة ، ثم سأل ابنَ عباس رضي الله تعالى عنهما فقال : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أعلمه اللهُ له ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ فتح مكة ، فذاك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ قال عمر رضي الله تعالى عنه : ما أعلم منها إلا ما تعلم . لفظ البخاري[1].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها لما سألته صلى الله عليه وآله وسلَّم عن سبب قول : (سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه ؟) قال : « خبَّرني ربي أني سأرىٰ علامة في أمتي ، فإذا رأيتُها أكثرت من قول : سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه ، فقد رأيتها ، ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ فتح مكة ، ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ . رواه مسلم[2].

فهل هذا الإذن من الله تعالى ، وتلك الإباحة ، وذلك التسليط موجود في القرآن الكريم ؟

لا ، إنما هو من الوحي غير المتلو .

لقد رفع الله سبحانه وتعالى الحصانةَ عن مكة ، حتى دخلها صلى الله عليه وآله وسلَّم فطهرها ، ثم رجعت إليها .

ورفعُ التحريم وإباحتها ليس بالأمر السهل ، بل هو في غاية الخطورة ، وحادثة الفيل ليست بعيدة العهد عن فتحها سوىٰ ستين عاماً تقريباً . ومع هذا فقد حصل

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب حدثني محمد بن بشار : غزوة الفتح ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، رقم (٢٢٧).

الرفع ، وحصلت الإباحة ساعة من زمان ليدخلها صلى الله عليه وآله وسلَّم مطهراً . وقد توسعت في بيان ذلك في (فضائل المدينة المنورة) وَ (مكانة الحرمين الشريفين) فانظرهما .

وهذا الرفعُ دال على أن السنة النبوية وحي كالقرآن الكريم ، نعم وحي القرآن متلو ، والوحي بالسنة غير متلو ، والنبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ فيهما ـ إنما يتبع أمر ربه عز وجل : ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ . وما كان صلى الله عليه وآله وسلَّم بأبي هو وأمي ليفتري على ربه عز وجل ـ حاشاه ـ والله تعالى يقول : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[1] . فكيف بمثل هذا الأمر الخطير ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[2] ، والله تعالى أعلم .

٦ ـ إحلال الرَّفَث والطعام والشراب ليالي الصيام :

كان الرجال لا يقربون نساءهم ، ولا يأكلون ولا يشربون ، إذا غابت الشمس ، ونام أحدُهم في ليالي رمضان حتى اليوم الثاني ، ولو استيقظ أحدهم بعد الغروب بقليل ، فأباح الله تعالى لهم ذلك كله[3] ، فمن الذي حرَّمه في الأول ؟

قال الله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ

(١) سورة الحاقة (٤٤ - ٤٧).

(٢) سورة النجم (٣ - ٤).

(٣) انظر (مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في رمضان) فقد ذكرت مراحل الصيام ، وكيف استقر على صورته الحالية .

بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة أمور ، يهمني منها ما يلي :

أ ـ بيان حل الرفث إلى النساء في ليالي الصيام ، ولم يكن الرفث إلى النساء في ليالي الصيام محرَّماً في القرآن الكريم قبل نزول هذه الآية الكريمة ، فكيف أحله القرآن الكريم ؟ وسياق الآية الكريمة يدل على أنه كان محرَّماً ، بدلالة قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ ﴾ وعلّل ذلك بقوله عز وجل : ﴿ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ ﴾ فمن الذي حرَّمه ؟

مما يدل على أن التحريم إنما كان بوحيٍّ خفيٍّ غيرِ القرآن الكريم ، وأن الآية الكريمة نسخت ما فيه ، والله تعالى أعلم .

ب ـ من خلال الآية الكريمة يدل على أن بعضَ الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ الذين كانوا قد حرِّم عليهم مباشرةُ نسائهم ـ كانوا يختانون أنفسهم ، فيأتونهن بعد العشاء ، ولما علم الله جل شأنه المشقةَ والحرجَ الذي يلاقيه الزوجان من عدم المباشرة ؛ وهما ينامان معاً في فراش واحد ، ويخالطان معاً في بيت واحد ،... والغريزة عند كلٍّ منهما قد تشتد ،... لذا تاب عليهم ، وعفا عنهم ، وأباح لهم المواقعة ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾ .

فمن الذي حرَّم عليهم المباشرة قبل نزول هذه الآية ؟ إنما هو الوحي الخفي الذي لا نعلمه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة البقرة (١٨٧).

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : لما نزل صومُ رمضان كانوا لا يقربون النساءَ رمضانَ كلَّه ، وكان رجالٌ يخونون أنفسهم ، فأنزل الله : ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ . رواه البخاري[1] .

فتوبة الله سبحانه وتعالى دلالة على نسخ ما كان محرَّماً ، ولا يكون ذلك التحريم إلا بوحي .

جـ - في قوله تعالى : ﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾ . دلالة على أن المباشرةَ كانت محرمةً في ليالي الصيام قبل نزول هذه الآية الكريمة ، وليس في القرآن الكريم - قبل نزول هذه الآية الكريمة - نصٌّ على التحريم ، فكيف حرِّمت المباشرة إذاً ؟ إنما كان بالوحيِ المخفي ، وهو السنة النبوية ، والله تعالى أعلم .

د - قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ ﴾ هذا أمرٌ آخر ، وهو إباحة الأكل والشرب في ليالي رمضان ، وقد كانا محرَّمَين قبل نزول هذه الآية الكريمة على من نام بعد المغرب وقبل الفجر ، فمن الذي حرَّمهما قبل نزول هذه الآية ، وليس شيء من ذلك في القرآن الكريم ؟ إن الذي حرَّمها إنما هو الوحي الخفي ، وهو السنة ، ويدل على ذلك :

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا كان الرجلُ صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي . وإن قيسَ بنَ صِرمةَ الأنصاريَّ كان صائماً فلما حضر الإفطارُ أتىٰ امرأتَه فقال لها : أعندك طعامٌ ؟ قالت : لا ، ولكن أنطلقُ فأطلبُ لك ، وكان يومَه يعملُ ، فغلبته عيناه ، فجاءته امرأتُه ، فلما رأته قالت : خيبةً لك ،

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة البقرة : باب ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ .

فلما انتصف النهار غُشي عليه ، فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فنزلت هذه الآية : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً ، ونزلت : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ رواه البخاري[1].

فأباحت الآية الكريمة المباشرةَ ـ وهي الجماع ونحوه ـ والأكلَ والشربَ من بعد المغرب حتى طلوع الفجر الصادق ، وحرمت المباشرةَ على المعتكف في المسجد فقط ، والله تعالى أعلم .

هـ ـ لما نزل قوله جل شأنه : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ لم ينزل ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ في أول الأمر ، حتى بينها النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لمن ظن أن المرادَ بهما حبلان ؛ أسود وأبيض .

فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض ، فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فذكرتُ له ذلك ، فقال : « إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار ». متفق عليه[2].

و ـ في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ دلالة على منع الوصال في الصيام ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب قول الله جل ذكره : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾. وفي كتاب التفسير أيضاً .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾. وفي كتاب التفسير . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ،... رقم (٣٣).

وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يواصل اليومين والثلاثة ، ويقول : « إني لست كهيئتكم ، إني أبيتُ عند ربي يطعمني ويسقيني » كما في الحديث المتفق عليه ، وقد جاء عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فالنهيُ القرآنيُّ لا يشمله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذاً ، إنما هو للأمة ، فبأي شيء كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يواصل ؟ وهو يقول ـ كما يقول الله تعالى عنه ـ : ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ وَ ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ﴾ إنما هو الوحي الخفي الذي نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بأي صورة من صوره ، وهو غير القرآن الكريم ، والله تعالى أعلم .

وإذا عرفنا مراحلَ الصوم حتى استقر ؛ من صيام عاشوراء ، حتى صيام رمضان ، ومراحل صيام رمضان ، حتى استقر نهائيّاً إلى ما عليه المسلمون ـ كما أوضحته في (مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في رمضان) ـ : عرفنا أن ذلك كله جاء بالوحي الخفي ، الذي لم يُذكر في القرآن الكريم ، والله تعالى أعلم .

وبهذا بان أن السنة النبوية وحيٌ أيضاً ، والله تعالى أعلم .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمات ، والنصوص الكثيرة التي ذكرتها في الأصل ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

☆☆☆☆☆

الفصل الثالث
الأدلّة من السّنة النّبويّة

إن الأدلةَ من السنة النبوية الشريفة على أن السنةَ النبويةَ وحيٌ كثيرةٌ جداً يصعب حصرها أو ذكرها ، وقد أكرمني الله جل شأنه بأن راجعت ألوفاً كثيرة من الأحاديث ، واستخرجت منها أعداداً كثيرة منها تدل على أن السنةَ النبويةَ الشريفةَ وحي ، لكنه كما قلت : غير متلوٍّ ولا معجز ، ثم أعدت النظر في تلك الأحاديث ، فقسمتها إلى مجموعات ، فاقتصرتُ على مائة عنوان ، ويندرج تحت كل عنوان مجموعةٌ من الأحاديث ، تزيد أو تنقص ، فقد تصل إلى المئات ، وقد تنقص إلى الآحاد ، لذا فإني أذكر هنا بعض العناوين ، ثم أقتصر على ذكر بعض ما جاء في بعضها من الأحاديث ، على قدر هذا المختصر ـ وهي خمسة وعشرون عنواناً فقط ـ ومن أراد معرفة ذلك بالتفصيل فلينظر في الأصل (السنة النبوية وحي).

وعند ذكري للعنوان فإني لا أعنيه بمفرده ، بل يندرج تحته كلُّ مشتقاته في اللغة[1] ثم أقتصر على ذكر بعض الأمثلة ؛ مما هو من مشتقاته ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

أولاً : عناوين الأحاديث :

كل ما جاء بلفظ الوحي ، وما جاء بلفظ الأمر ، وما جاء بلفظ الإعطاء ، وما

---

(١) مثال ذلك : (كل ما جاء بلفظ الوحي) فإنه يدخل تحته كلُّ مشتقاته ؛ مثل : أُوحي إليَّ ، فجاء الوحي ، أوحى الله إليه ، أَوحى إليَّ ، يُوحى إليه ، وحي ،... ومثل (كل ما جاء بلفظ الأمر) فإنه يدخل تحته كلُّ مشتقاته ، مثل : أُمِرتُ بكذا ، أَمرني ربي ، أَمر ربي ، إن ربك يأمرك ،... وهكذا يقال في كل العناوين .

جاء بلفظ الوعد ، وما جاء بلفظ الحل ، وما جاء بلفظ الإباحة ، وما جاء بلفظ التطييب ، وما جاء بلفظ الإذن ، وما جاء بلفظ الترخيص ، وما جاء بلفظ النهي ، وما جاء بلفظ الإبدال ، وما جاء بلفظ التفضيل ، وما جاء بلفظ الرؤية ، وما جاء بلفظ الإتيان ، وما جاء بلفظ التحريم ، وما جاء بلفظ البِشارة ،...إلخ.

وما جاء بلفظ الإيتاء ، وما جاء بلفظ التخيير ، وما جاء بلفظ النصر ، وما جاء بلفظ الاشتراط ، وما جاء بلفظ الانتداب ، وما جاء بلفظ التجاوز ، وما جاء بلفظ النفث في الرُّوع ، وما جاء بلفظ البعثة ، وما جاء بلفظ الجعل ، وما جاء بلفظ الاستئذان ،... وما جاء بلفظ الإخبار ، وما جاء بلفظ العَجَب ، وما جاء بلفظ الإبدال ، وما جاء بلفظ الكفالة ، وما جاء بلفظ الضمان ،... وما جاء بلفظ القَسَم على بعض الأمور ، وما جاء بلفظ التصديق ، وما جاء بلفظ العذر ، وما جاء بلفظ الكتابة ، وما جاء بلفظ الوجوب ، وما جاء بلفظ الدخول في الجنة أو النار ، وما جاء بلفظ السؤال ، وما جاء بلفظ القضاء ، وما جاء بلفظ العرض ، وما جاء بلفظ التوكيل ،... وما جاء بلفظ القسْم ، وما جاء بلفظ الإمداد ، وما جاء بلفظ الإحداث ، وما جاء بلفظ الرضا ،...إلخ.

وما جاء مِن إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الله تعالى وأوصافه وأسمائه وأفعاله ،... وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن نفسه الشريفة ، وما خصه الله تعالى به وفضله ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن فضل الصلاة والسلام عليه ، وبيان عقوبة تارك الصلاة عليه ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم من بيان مسارعة الله تعالى في رضاه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعن عطف لفظ الرسول على لفظ الجلالة في حصول أمر معين ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم أُوتي القرآن ومثله معه ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن القرآن الكريم ، ونزوله وترتيبه وحروفه وثواب قراءته ، وعن الأحاديث القدسية ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الملائكة الكرام عموماً ، وعن جبريل عليه السلام وتعليمه له ونزوله عليه ومصاحبته له ، وعن الجن والشياطين وأحوالهم وغواياتهم ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وأحوالهم وأوصافهم وما حصل معهم ،... وعن الأمم السابقة ، وما حصل فيها ، وما ورد مِن بعض أفرادها ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن أهل بيته رضي الله عنهم ، وأحوالهم ، وما سيكون لهم ، وعن الزيادة عن الأربع في أزواجه رضي الله عنهن ، وعن أصحابه رضي الله عنهم ووفياتهم ، وما سيحصل لهم ، أو لبعضهم بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعن قرنه وفضلهم ومدتهم ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن المدينة المنورة وحرمها وأهلها ومكانتها وأحوالها وصفاتها ، وما يكون فيها ،... وعن مكة المكرمة وحرمها ومكانتها وأحوالها وأهلها ،... وعن المساجد الثلاثة وفضلها ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن بدء الخلق ، وعن الغيب السحيق ، وعن الغيوب المستقبلة ، والأمور البعيدة القادمة ،... وعن الفتن والملاحم ، والحروب الحاصلة بين الأمم ، أو بين المسلمين أنفسهم ، وعن أشراط الساعة بنوعيها ـ الكبرى والصغرى ـ ما ظهر منها وانقضىٰ أو ما زال موجوداً ، وما لم يظهر ،... وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الكائنات في زمانه ؛ فوقعت كما أخبر ، سواء كان حصولها في زمانه أو بعده ،...إلخ.

وما جاء مِن إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الفضائل في الأعمال ،... والأقوال ؛ كالذكر والدعاء والأيام والأمكنة والأزمنة والأفراد ،... وبيان الثواب والأجر على الأعمال ؛ من صلاة وصيام وصدقة ووضوء وحج وقتلِ حيوانٍ معينٍ ، ومن الأذكار ،... وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن العقوبات على من فرَّط في الطاعات ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الهجرة وفضلها ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن أمته ، وفضلها ، ومكانتها ، وأجرها ، وانتشارها ومُلكها ، وأعمار أهلها ،... وأنها لا تجتمع على ضلالة ، ووجود الطائفة المنصورة فيها على الدوام ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الشهداء فيها ومكانتهم وأحوالهم وأنواعهم ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الجنة ونعيمها ودرجاتها وكيفيتها وأبوابها ومن يدخلها ،... وعن النار ودركاتها وأوديتها ونارها وعذابها وقوَّتها وأهلها وأحوالهم ومَن يدخلها ومَن يخرج منها ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن أحوال القبر والبرزخ ،... وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن يوم القيامة وأحوالها وشدتها ،... وما فيها من الحوض والكوثر والصراط ، وعن عَرض الجنة والنار عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وما رأى فيهما ، وعن أول ما يُقضىٰ به بين الناس يومَ القيامة ، وعن أول من يُدعى إلى الجنة ، وأول من يدخلها ، وما شعار المؤمنين يومئذ يوم العرض ، ومن سيكون تحت العرش مِنْ أصناف المؤمنين ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الإيمان وأركانه ، والإسلام وتشريعاته والإحسان وأحواله ،... وعن عرض الأعمال على الله تعالى ،...إلخ.

وتشريعه صلى الله عليه وآله وسلَّم للأحكام في الحلال والحرام ،... سواء في النكاح أو المطعومات ، أو المشروبات ، أو اللباس ،...إلخ.

وبيانه صلى الله عليه وآله وسلَّم للعبادات المختلفة المتنوعة ، وعن الزائدة منها ؛ في الحضر والسفر ، والأمن والخوف ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن خَلق الإنسان ، والأمور الطبية الأخرى ، وعن الطب والأدوية والتشريح والمعالجات ، مما لا مدخل للبشر فيه ، وعن العالَم المادي والمعنوي من الشمس والقمر والزمان ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن المؤمنين وصفاتهم وأحوالهم وشوقهم وحنينهم ، وعن المنافقين وأحوالهم وصفاتهم وأنواعهم ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الرَّحِم ومكانتها ،... وعن أحوال بعض الناس ، وعن الرحمة وأقسامها ،... وعن بعض الحيوانات ما يُقتل منها وما لا يُقتل ، وعن الجمادات والتفريق بينها ، والتفريق بين قِطَع الأرض والمدن والبلاد .

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم على إطلاع الله سبحانه وتعالى له عما يفعله أو يقوله المشركون أو المنافقون ، وعن مكايد اليهود وغدرهم ،...إلخ.

وهناك عناوين غيرها كثير ، لم أذكرها ، مكتفياً بما ذكرته هنا ، لأن القصد هو التنبيه ، ولأن كثيراً من الأحاديث الشريفة يمكن أن تندرج تحت أكثر من عنوان ، لاحتوائها على فقرات متعددة ، لكن ما ذكرته يكفي للدلالة ، والله تعالى أعلم .

ثانياً : ذكر بعض الأمثلة من الحديث على وحي السنة النبوية :

لما كان هذا البحث اختصاراً للكتاب الكبير (السنة النبوية وحي) وأردت أن يكون ـ بفضل الله تعالى وتوفيقه ـ في متناول أيدي كثير من المسلمين ، حيث يسهل حمله وقراءته ، لذا فإني سوف أقتصر على ذكر بعض الفقرات ، كما سأقتصر على

ذكر حديث واحد أو اثنين ـ غالباً ـ في كل فقرة ، إلا ما ورد في الفقرة الأولى ، فإني سأذكر ستة أحاديث فيها إن شاء الله تعالى .

وجميع ما أذكره فهو مما ورد في الصحيحين أو أحدهما ، ومن أراد معرفةَ ما في هذه الفقرات السابقة من الأحاديث فلينظر في الأصل (السنة النبوية وحي) مع التنبيه أني لا أذكر كل مشتقات الكلمة ، إنما أذكر واحدة أو اثنتين ، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل .

١ ـ كل ما جاء بلفظ الوحي :

كل حديث جاء بهذا العنوان ومشتقاته فهو من الوحي ، لأنه لا يمكن أن يصدر منه صلى الله عليه وآله وسلَّم من واقع البشرية ، إذ ليس للاجتهاد فيه مجال ، ولا للعقل فيه مسرح ، وهذه بعض النماذج :

أ ـ عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، قالت : خسفت الشمسُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فدخلتُ على عائشة وهي تصلي ، فقلت : ما شأن الناس يصلون ؟ فأشارت برأسها إلى السماء ، فقلتُ : آية ؟ فأشارت برأسها أي نعم ، فأطال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم القيامَ جداً ، حتى تجلاني الغَشْيُ ،... قالت : فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد تجلَّت الشمسُ ، فخطب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الناسَ ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « أما بعد ، **ما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيته في مقامي هذا ، حتى الجنة والنار ، وإنه قد أُوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور** ، قريباً ـ أو مثل ـ فتنة المسيح الدجال ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الكسوف : باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، رقم (١١).

ب ـ عن عياض بن حِمارٍ رضي الله عنه قال : قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم خطيباً ، فقال : « ...**وإن الله أَوْحى إليَّ** أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ، ولا يَبْغي أحدٌ على أحد » الحديث ، رواه مسلم(١).

جـ ـ وعن يعلى بن أمية رضي الله عنه قال لعمر رضي الله عنه : أرني النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم حين يُوحىٰ إليه ، قال : فبينما النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم بالجعرانة ـ ومعه نفر من أصحابه ـ جاءه رجلٌ فقال : يا رسولَ الله ؛ كيف ترىٰ في رجلٍ أَحْرم بعُمْرَةٍ ، وهو متضمِّخٌ بطيبٍ ؟ فسكت النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ساعة ، **فجاءه الوحي** ، فأشار عمرُ رضي الله عنه إلى يَعْلى ، فجاء يَعْلى ـ وعلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ثوبٌ قد أُظِل به ـ فأَدخل رأسَه ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم محمرُّ الوجهِ ، وهو يغطُّ ، ثم سُرِّيَ عنه ، فقال : « أين الذي سأل عن العمرة ؟ » فأُتي برجل ، فقال : « اغسل الطِّيبَ الذي بك ثلاثَ مراتٍ ، وانزع عنك الجُبَّةَ ، واصنع في عمرتك كما تصنعُ في حجتك ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري(٢).

د ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرتُ على امرأةٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كما غرتُ على خديجةَ ، لكثرة ذِكرِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إياها ، وثنائِه عليها ، **وقد أُوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ أن يبشرها ببيت لها في الجنة ، من قصب** ـ زاد في رواية ـ : **لا صخبَ فيه**

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، رقم (٦٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح ،... رقم (٦ – ١٠).

ولا نصب . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

هـ ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : خرجتْ سودةُ بعدما ضُرب عليها الحجابُ ، لتقضي حاجتَها ، وكانت امراةً جسيمةً ، تَفْرَعُ النساءَ جسماً ، ولا تَخفىٰ على من يعرفها ، فرآها عمرُ بن الخطاب ، فقال : يا سودة ؛ والله ما تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين ، قالت : فانكفأتْ راجعةً ، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في بيتي ، وإنه ليتعشىٰ ، وفي يده عَرْقٌ ، فدخلَتْ ، فقالت : يا رسول الله ؛ إني خرجتُ ، فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت : **فأَوْحى الله إليه** ، ثم رُفِعَ عنه ، وإن العَرْقَ في يده ما وضعه ، فقال : « إنه قد أُذِن لكُنَّ أن تَخرجنَ لحاجتِكُن ». متفق عليه[2].

و ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم جلس ذات يوم على المنبر ، وجلسنا حوله ، فقال : « إنَّ مما أخافُ عليكم من بعدي ، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » فقال رجل : يا رسول الله ؛ أوَ يأتي الخيرُ بالشرِّ ؟ فسكت النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقيل له : ما شأنُك تكلم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ولا يكلمك ؟ **فرأينا أنه ينزل عليه** .

وفي رواية للبخاري : **يُوحىٰ إليه** ، وسكت الناسُ كأن على رؤوسهم الطيرُ ، قال : فمسح عنه الرحضاء ، فقال : « أين السائل ـ وكأنه حمِدَه ـ فقال : إنه لا يأتي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب غيرة النساء ووجدهن . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، رقم (٧٣ - ٧٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأحزاب : باب قوله : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ... ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب جواز جعل الإذن رفع حجاب أو نحوه من العلامات ، رقم (١٧).

الخيرُ بالشر ،... » الحديث ، متفق عليه[1].

فمثل هذه الأحاديث لا يمكن أن تكون من واقع البشرية ، لأنه ليس للعقل فيها مسرح ، ولا للاجتهاد فيها مجال ، وقد جاء التصريح فيها بالوحي ، والله تعالى أعلم .

٢ ـ كل ما جاء بلفظ الأمر :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون عن وحي ، لأنه ليس مما يقال بالاجتهاد .

فعن عبد الله بن عُمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « أُمرتُ أن أُقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاةَ ، ويؤتوا الزكاةَ ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالَهم ، إلا بحق الإسلام ، وحسابُهم على الله ». متفق عليه[2].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُمرتُ أن أسجدَ على سبعةِ أعظم ؛ على الجبهة ـ وأشار بيده على أنفه ـ واليدين ، والركبتين ، وأطراف القدمين ، ولا نكْفتَ الثيابَ والشَّعَرَ ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب الصدقة على اليتامى . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ، رقم (١٢١ - ١٢٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ،... رقم (٣٦).

ورواه مسلم من حديث عمر وأبي هريرة وجابر رضي الله تعالى عنهم أيضاً .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب السجود على الأنف ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب أعضاء السجود ،... رقم (٢٢٧ - ٢٣١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُمِرتُ بقرية تأكلُ القرى ؛ يقولون يثرب ، وهي المدينة ، تنفي الناس ، كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد ». متفق عليه[1].

ولا آمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلا الله تعالى ، كما هو معلوم .

٣ ـ كل ما جاء بلفظ الوعد :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون عن وحي ، لأنه ليس للاجتهاد فيه نصيب ، ولا للعقل فيه مسرح .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : خَسفت الشمسُ ، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقرأ سورةً طويلةً ،... الحديث بطوله في صلاة الخسوف ، وفيه ثم قال : « ...لقد رأيتُ في مقامي هذا كلَّ ما وُعِدتُه حتى لقد رأيتُني أُريد أن آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني جعلتُ أتقدَّم ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال : كنا مع عُمر بين مكة والمدينة ،... ثم أنشأ يحدِّثُنا عن أهل بدر ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يرينا مصارع أهل بدرٍ بالأمس ، يقول : « هذا مصرعُ فلان غداً إن شاء الله ». قال : فقال عمر رضي الله عنه : فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدودَ التي حدَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : فجُعلوا في بئر ؛ بعضهم على بعض ، فانطلق رسول الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب فضل المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العمل في الصلاة : باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة . وصحيح مسلم : كتاب الكسوف : باب صلاة الكسوف ، رقم (٣).

صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى انتهى إليهم ، فقال : « يا فلان بنَ فلان ، ويا فلان ابنَ فلان ؛ هل وجدتم ما وعدكم الله ورسولُه حقّاً ؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني الله حقّاً ». رواه مسلم[1].

وقد روياه من غير حديثه أيضاً بنحوه .

وقد ورد في الفصل السابق[2] ذكرُ ثلاثة أحاديث ، وفيها قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في غزوة بدر ـ : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ،... اللهم آتني ما وعدتني » « اللهم أنشدك عهدَك ووعدَك » « فإني وجدت ما وعدني ربي حقّاً » وهي في الصحيحين .

وكل حديث فيه وعد من الله تعالى ، ولم يكن في القرآن الكريم فهو من الوحي أيضاً ، لأنه لا يمكن أن يَنسب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى الله تعالى شيئاً لم يقله الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

٤ ـ كل ما جاء بلفظ الإعطاء :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون عن وحي ، لأنه ليس للاجتهاد فيه نصيب ، ولا للعقل فيه مسرح ولا مجال .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُعطيتُ خمساً لم يُعطهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي : كان كلُّ نبيٍّ يُبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثتُ إلى الناس عامة ، وأُحِلَّتْ لي الغنائم ، ولم تحلَّ لأحد قبلي ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ طهوراً ومسجداً ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه ،... رقم (٧٦).

(٢) انظر صفحة (٦٢ – ٦٤).

حيث كان ، ونُصرتُ بالرعب بين يدَيَّ مسيرةَ شهر ، وأُعطيتُ الشفاعة ». متفق عليه[1].

ففي هذا الحديث خمس منح : أُعطيتُ ، بُعثتُ ، أُحلِّتْ ، جُعلَتْ ، نُصرتُ .

والإخبار عن مثل هذه المنح لا يمكن أن يكون إلا عن وحي ، لأنها كلها من الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خرج يوماً ؛ فصلّى على أهل أُحُدٍ صلاتَه على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال : « إني فَرَطٌ لكم ، وأنا شهيدٌ عليكم ، وإني ـ والله ـ لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني قد أُعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ،... ». متفق عليه[2].

فالذي أعطاه صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما هو الله تعالى ، وذلك لا يوجد في القرآن الكريم ، مما يدل على أنه من الوحي الخفي ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ كل ما جاء بلفظ الإذن :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون من الوحي ، لأنه ليس من مجالات الاجتهاد ، ولا للعقل فيه مسرح ، كيف وقد أُضيف إلى الله عز وجل ، شأنه في ذلك شأن ما سبق من النصوص الكريمة ، إذ كلها مما أضيف إلى الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي شُريح رضي الله تعالى عنه ـ في خطابه لعَمْرو بن سعيد ـ وهو يُجهِّز الجيشَ لغزو مكة أيام ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما ـ قال : قال رسول الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التيمم : الباب الأول . وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الشهيد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله وسلَّم وصفاته ، رقم (٣٠ ، ٣١).

صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن مكة حرَّمها الله ، ولم يُحرِّمها الناسُ ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسفك بها دماً ، ولا يعضدَ بها شجرةً ، فإن أحدٌ ترخَّص لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، فقولوا : إن الله قد أذن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما أَذن لي فيها ساعةً من نهار ، ثم عادت حُرمتُها اليوم كحُرمتِها بالأمس ،... ». متفق عليه[1].

وفي هذا النص الكريم عدة أمور :

ـ ذكر بعض مظاهر تحريم مكة المكرمة ، ولا يوجد شيء من ذلك في القرآن الكريم .

ـ إباحتها له صلى الله عليه وآله وسلَّم من قِبل الله تعالى .

ـ تحديد مدة الإباحة ، وهو ساعة من نهار .

ـ تحديد زمن الإباحة ، وهو من الصباح حتى العصر .

ـ إعادة حرمتها كما كانت ، بحيث إن الله تعالى رفع الحصانة عنها حتى تُطهَّر ، فلما طُهِّرت عادت إليها حرمتها على التأبيد .

ـ كل ذلك لا يمكن أن يكون بالاجتهاد ، إنما هو من الوحي الخفي ، والله تعالى أعلم .

٦ ـ كل ما جاء بلفظ الحل :

كل حديث جاء بلفظ الحل ومشتقاته ، سواء قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُحلّ لي » أو « أُحلّت لي » أو « أَحلّ الله لي »... فكل ذلك دال دلالةً صريحةً واضحةً على أن ما كان كذلك فهو وحيٌ من الله تعالى ، لأنه لا يكون عن اجتهاد ،

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة وصيدها ،... رقم (١٣٥٤).

وليس للعقل فيه مسرح ، ولأن الذي يَحِلُّ لنبيه صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما هو الله تعالى لا غير .

لقد ورد قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم في الحديث السابق ـ عند رقم (٤) ـ : « ...وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي... ». وهو متفق عليه ، وقد ورد هذا اللفظ من حديث جابر وأبي ذر وابن مسعود وعلي وابن عُمر وأبي موسى وأبي هريرة وعبد الله بن عَمرو ،... وآخرين رضي الله عنهم . وقد ذكرت رواياتهم في الخصائص ، وفي عظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ في قصة فتح مكة وفيه ـ : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلّط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي ، وإنها أُحِلَّت لي ساعة من نهار ، وإنها لن تحل لأحد بعدي ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1]. وقد ورد من حديث غيره أيضاً .

وإحلال مكة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ مع أنها حرام ـ دليل صريح على أن ما كان من الفتح إنما هو بإذن من الله تعالى ، إذ لو لم يُبحها لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ما كان الفتح ، ولبقيت دار حرب ، ومركزاً للجاهلية والأصنام ، فأباحها تعالى له صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى طهَّرها ، ثم عادت حرمتُها كما كانت ، والله تعالى أعلم .

وسيأتي حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه ـ عند مسلم ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ : ...وأُحلَّت لي الغنائم ،... » الحديث .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب كتابة العلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة وصيدها وخلاها ،... رقم (٤٤٧ – ٤٤٨).

٧ ـ كل ما جاء بلفظ البشارة :

كل حديث جاء بلفظ البشارة ومشتقاته ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يبشر فقراء المهاجرين » أو « بشِّر المشّائين » أو « أبشر بنورين » أو « ابشروا » أو « بشِّر » أو « يبشِّرها » أو « بشِّر أمتك » أو « بشرني » أو « بشِّره بالجنة » أو « المبشرات »... ونحو ذلك ، فكل ذلك دالٌ دلالةً صريحةً واضحةً على أن ما كان كذلك فهو وحيٌ من الله تعالى ؛ أوحاه الله تعالى إلى نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : بينما جبريل قاعدٌ عند النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسَه ، فقال : هذا بابٌ من السماء فُتح اليومَ ، لم يفتح قطُّ إلا اليوم ، فنزل منه مَلَكٌ فقال : هذا مَلَكٌ نزل إلى الأرض ، لم ينزل قطُّ إلا اليوم ، فسلَّم ، وقال : أَبشر بنورين أُوتيتَهما لم يُؤتَهما نبيٌّ قبلك ؛ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منها إلا أُعطيتَه . رواه مسلم[١].

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال : « أتاني جبريل عليه السلام ، فبشَّرني أنه من مات من أُمَّتِك لا يُشركُ بالله شيئاً ؛ دخل الجنة » قلت : وإن زنىٰ وإن سرق ؟ قال : « وإن زنىٰ وإن سرق ». متفق عليه[٢]. وقد روياه من غير هذا الطريق بنحوه أيضاً .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، رقم (٢٥٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ،... رقم (١٥٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يقول الله عز وجل : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخيرُ في يديك . قال : يقول : أخرج بعثَ النار . قال : وما بعثُ النار ؟ قال : من كل ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعين . قال : فذاك حين يشيب الصغيرُ ، وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها ، وترىٰ الناسَ سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ، ولكن عذاب الله شديد ».

قال : فاشتد ذلك عليهم ، قالوا : يا رسول الله ؛ أيُّنا ذلك الرجل ؟ فقال : « أبشروا ، فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ، ومنكم رجل »... الحديث . متفق عليه[1].

٨ ـ كل ما جاء بلفظ النصر :

كل حديث جاء بلفظ النصر ومشتقاته ، سواء قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نُصرت » أو « إن الله نصرني »... ونحو ذلك ، فهو دالٌّ دلالةً صريحةً واضحةً على أن ما كان كذلك فهو وحيٌ من الله تعالى ، لأن الذي ينصر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما هو الله عز وجل .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحدٌ قبلي ؛... ونُصرت بالرعب بين يَدَيّ مسيرةَ شهر... ». الحديث بطوله ، متفق عليه ، وقد مر ذكره كاملاً عند رقم (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « بُعثتُ بجوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب ،... ». الحديث ، متفق عليه[2].

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قصة يأجوج ومأجوج ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، رقم (٣٧٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب قول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نُصرت بالرعب مسيرة شهر »، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٦ – ٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال : « نُصرت بالصَّبا ، وأُهلكت عاد بالدُّبور ». متفق عليه[١].

وفي حديث المِسْور بن مخرمة ومروان بن الحكم ـ في قصة صلح الحُدَيْبِيَة ، وفي آخره ـ : قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : فأتيت نبيَّ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقلتُ : ألستَ نبيَّ الله حقاً ؟ قال : « بلى ». قلت : ألسنا على الحق ؛ وعدوُنا على الباطل ؟ قال : « بلى ». قلت : فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال : « إني رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري ». قلتُ : أوَ ليس كنتَ تحدِّثنا أنا سنأتي البيتَ فنطوف به ؟ قال : « بلى ، فأخبرتُك أنا نأتيه العام ؟ ». قال : قلت : لا ، قال : « فإنك آتيه ، ومُطَوِّفٌ به ». قال : فأتيتُ أبا بكر ، فقلت : يا أبا بكر ؛ أليس هذا نبيَّ الله حقاً ؟ قال : بلى ، قلتُ : ألسنا على الحق ؛ وعدوُنا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلِمَ نعطي الدَّنِيَّةَ في ديننا إذا ؟ قال : أيها الرجل ؛ إنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وليس يعصي ربَّه ، وهو ناصرُه ، فاستمسك بغَرْزِه ، فوالله إنه على الحق ،... الحديث بطوله ، رواه البخاري[٢].

والنصوص في هذا الباب كثيرة .

وكل هذا دالٌّ على أن ما قاله صلى الله عليه وآله وسلَّم فهو من الوحي ، لأنه لا ناصر له إلا الله تعالى ، ولا يَنسب شيئاً لله تعالى بدون إذن منه جل شأنه ، والله تعالى أعلم .

٩ ـ كل ما جاء بلفظ البعث :

كل حديث جاء بلفظ البعثة ومشتقاته ، سواء قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم «نُصرت بالصبا»، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة الاستسقاء : باب في ريح الصبا والدبور ، رقم (١٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ،...

« بُعثت » أو « إن الله بعثني » أو « بعث إلي »... ونحو ذلك ، فكل ذلك دالٌ دلالةً صريحةً واضحةً على أن ما كان كذلك فهو وحيٌ من الله تعالى ، لأن الذي بَعث رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما هو الله تعالى .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي ؛ كان كل نبيٍّ يُبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثت إلى الناس عامة ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه . وقد مر ذكره كاملاً عند رقم (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم « بُعثتُ بجوامع الكَلِم ، ونُصرت بالرعب ،... ». الحديث ، متفق عليه ، وقد مر ذكره في الفقرة السابقة .

وأذكر حديث عياض بن حمار رضي الله تعالى عنه مع طوله .

فعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أُعلِّمكم ما جهلتم مما علَّمني يومي هذا . كلُّ مالٍ نَحَلتُه عبداً حلالٌ ، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلَّهم ، وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم ، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم ، وأَمرْتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثتك لأبتليك ، وأَبتلي بك ، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان ، وإن الله أَمرني أن أُحرِّق قريشاً ، فقلت : ربِّ ، إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزةً ، قال : استخرجهم كما استخرجوك ، واغزهم نُغْزِك ، وأنفق فسننفق عليك ، وابعث جيشاً نبعث خمسةً مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ،... ». الحديث بطوله ،

رواه مسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قيل : يا رسول الله ؛ ادعُ على المشركين ، فقال : « إني لم أُبعث لعّاناً ، وإنما بُعثتُ رحمةً ». رواه مسلم[2].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « بُعثتُ أنا والساعة كهاتين ». متفق عليه[3].

وروياه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما ، ورواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما[4].

والنصوص في باب (البعثة) كثيرة جداً .

١٠ ـ كل ما جاء بلفظ التحريم :

كل حديث جاء بلفظ التحريم ومشتقاته ، سواء قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله حرَّم على الجنة » أو « إن الله حرَّم على النار » أو « إن الله حرَّم ذلك » أو « حُرِّمت علينا » أو « يَحرُم من » أو « حرَّم عليكم »... ونحو ذلك فكل ذلك دالٌّ دلالةً صريحةً واضحةً على أن ما كان كذلك فهو وحيٌ من الله تعالى ، لأن الذي

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهلُ الجنة وأهل النار ، رقم (٦٣ – ٦٤).

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب النهي عن لعنة الدواب ، رقم (٨٧).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «بُعثت أنا والساعة كهاتين»، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب قرب الساعة ، رقم (١٣٣ – ١٣٥).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : الباب السابق ، وكتاب التفسير : سورة النازعات ، وكتاب الطلاق : باب اللعان . وصحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم (٤٣) ، وكتاب الفتن : باب قرب الساعة ، رقم (١٣٢).

يحرِّم حقيقةً إنما هو الله تعالى ، وإن كان قد جعل جل شأنه من صفات النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه يحرِّم ويحلِّل ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ فهو أن الله تعالى يحرِّم ويحلِّل ويوحي بذلك إلى نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فينطق به ، والله تعالى أعلم .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يحرمُ من الرضاعة ما يحرُمُ من الولادة » وفي رواية « ما يحرم من النسب ». متفق عليهما[1].

ورواياه[2] من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُمرت أن أقاتل الناسَ حتى يقولوا : لا إلٰه إلا الله ، فإذا قالوها وصلّوا صلاتَنا ، واستقبلوا قِبلتَنا ، وذبحوا ذبيحتَنا ، فقد حُرِّمت علينا دماؤُهم وأموالُهم ؛ إلا بحقِّها ، وحسابُهم على الله ». رواه البخاري[3]. وقد ورواياه معاً بغير هذا اللفظ ، كما رواه عن غيره أيضاً .

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « حرَّم الله على النار » « حرَّم الله على الجنة » فهو كثير جداً ، فقد ورد في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة .

فمن الذي حرَّم ذلك ؛ إنما هو الله تعالى ، لأنه هو المشرع الحقيقي ، يُوحي بذلك إلى نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فينطق به ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة ، رقم (١ – ٩).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة ، رقم (١٢ – ١٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب فضل استقبال القبلة .

١١ ـ كل ما جاء بلفظ الترخيص :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون من الوحي ، لأنه ليس للعقل فيه مسرح ، ولا للاجتهاد فيه نصيب .

فعن حمزة بن عَمْرو الأسلميِّ رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ؛ أجد بي قوةً على الصيام في السفر ؛ فهل عليَّ جُناحٌ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هي رخصةٌ [من الله] فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحبَّ أن يصومَ فلا جُناحَ عليه ». رواه مسلم(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : رَخَّص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في أمرٍ ، فتنزَّه عنه ناسٌ من الناس ، فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم فغضب ، حتى بان الغضبُ في وجهه ، ثم قال : « ما بال أقوام يرغبون عمّا رُخِّص لي فيه ، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدُّهم له خشية ». رواه مسلم(٢).

فمن الذي رخَّص ذلك للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ إنما هو الله تعالى ، وهو ليس في القرآن ، إنما هو من الوحي الخفي ، والله تعالى أعلم .

١٢ ـ كل ما جاء بلفظ النهي :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون من الوحي ، لأنه لا يكون عن اجتهاد ، إذ ليس للعقل فيه مسرح ، لأن الذي ينهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما هو الله تعالى ، وقد أضاف ذلك إليه .

فعن عياض بن حِمار رضي الله تعالى عنه قال : أهديتُ لرسول الله صلى الله

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصيام : باب التخيير في الصوم والفطر في السفر ، رقم (١٠٧).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب علمه صلى الله عليه وآله وسلَّم بالله تعالى وشدة خشيته ، رقم (١٢٨).

عليه وآله وسلَّم ناقةً ـ أو هديةً ـ فقال لي : « أسلمتَ ؟ » قلت : لا . قال : « فإني نُهيتُ عن زَبَد المشركين ». رواه أبو داود وابن الجارود وأحمد ، وصححه الترمذي وابن خزيمة[1] وهذا الحديث الوحيد من غير الصحيحين .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم السِّتارةَ ، والناسُ صفوفٌ خلف أبي بكر ، فقال : « أيها الناس ؛ إنه لم يبق من مبشِّرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة ؛ يراها المسلم أو تُرىٰ له ، ألا وإني نُهيتُ أن أقرأ القرآنَ راكعاً أو ساجداً ، فأما الركوعُ فعظِّموا فيه الربَّ عز وجل ، وأما السجودُ فاجتهدوا في الدعاء ، فقمنٌ أن يُستجاب لكم ». رواه مسلم[2].

ففي هذا النص الكريم أمور ، منها :

ـ من الذي ينهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ إنما هو الله تعالى .

ـ ثم تخصيص النهي عن القراءة في هذين الركنين دون غيرهما .

ـ ثم ما يقال في الركوع والسجود .

ـ كل ذلك لا يوجد في القرآن الكريم ، ولا يكون عن اجتهاد ، لأنه لا مسرح له فيه ، إنما هو من الوحي الخفي الذي لا نعلمه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٦٢) والمنتقى (٣٧٤ رقم ١١١٠) ومسند الطيالسي (١٤٦ رقم ١٠٨٢ ، ١٠٨٣) وسنن أبي داود : كتاب الخراج والإمارة : باب في الإمام يقبل هدايا المشركين ، رقم (٣٠٥٧) وسنن الترمذي : كتاب السير : باب ما جاء في كراهية هدايا المشركين ، رقم (١٥٧٧) والمعجم الكبير (١٧ : ٣٦٤) والمعجم الأوسط (٣ : ٧٣) والبحر الزخار (٨ : ٤٢٤) والتمهيد (٢ : ١١ – ١٢) والسنن الكبرى (٩ : ٢١٦) وفتح الباري (٥ : ٢٣٠ – ٢٣١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ، رقم (٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٤).

١٣ ـ كل ما جاء بلفظ التخيير :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون من الوحي ، لأنه لا يكون باجتهاد الإنسان ، وقد أضافه إلى ربه عز وجل .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول ـ وهو صحيح ـ : « إنه لم يُقبض نبيٌّ قطُّ حتى يرى مقعدَه من الجنة ، ثم يُخيَّر ».

قالت عائشة : فلما نزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ورأسُه على فخذي ، غُشي عليه ساعةً ثم أفاق ، فأشخص بصرَه إلى السقف ، ثم قال : « اللهم الرفيق الأعلى ».

قالت عائشة : قلت : إذاً لا يختارنا . وعرفتُ أنه الحديثُ الذي كان يحدثنا به وهو صحيح . الحديث . متفق عليه[١].

من الذي يخيِّر رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في مثل هذين الأمرين ؟ ومن الذي يقدر على ذلك ؟ خاصة وهما خارج مقدور البشر (الخلود في الدنيا ، والرفيق الأعلى) إنما الذي يقدر عليه هو الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم جلس على المنبر فقال : « عبدٌ خيَّره الله بين أن يُؤتيَه زهرةَ الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عنده » فبكىٰ أبو بكر ، وبكىٰ ، فقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . قال : فكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هو المخيَّرَ ، وكان أبو بكر أعلمَنا به . متفق عليه[٢].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم : باب في فضل عائشة رضي الله عنها ، رقم (٨٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، رقم (٢).

إن هذا النص واضح من إضافة التخيير إلى الله تعالى ، ولا يوجد في القرآن الكريم ، إنما هو من الوحي الخفي ، كما أن بكاء الصديق رضي الله عنه الذي تحقق تخوفه منه بعد أيام ، حيث توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومثل ما قاله صلى الله عليه وآله وسلَّم هو من الغيب الذي لا يعلمه البشر ، إنما هو الوحي لا غير ، والله تعالى أعلم .

١٤ ـ كل ما جاء بلفظ التفضيل :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فهو من الوحي ، لأنه ليس من بابة الاجتهاد الشخصي ، وقد أضافه إلى الله تعالى .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ ؛ أُعطيتُ جوامعَ الكَلِم ، ونُصرتُ بالرعب ، وأُحلَّتْ لي الغنائمُ ، وجُعلت لي الأرضُ طُهوراً ومسجداً ، وأُرسلتُ إلى الخلق كافة ، وخُتم بي النبيّون ». رواه مسلم[١].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فُضِّلنا على الناس بثلاث ؛ جُعلت صفوفُنا كصفوف الملائكة ، وجُعلت تربتُها طُهوراً إذا لم نجد الماءَ » وذكر خصلة أخرى . رواه مسلم[٢].

في الحديثين الشريفين ثماني منح (فُضِّلت ، أُعطيتُ ، نُصرتُ ، أُحلَّت لي ، جُعلت لي ، أُرسلتُ إلى ، خُتم بي ، جُعلت صفوفنا).

ومن الذي منح رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك ؟ إنما هو الله عز

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٥) وروىٰ البخاري بعضَه .

(٢) صحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٤).

وجل ، وعامة ذلك لا يوجد في القرآن الكريم ، إنما هو عن طريق الوحي الخفي ، والله تعالى أعلم .

١٥ ـ كل ما جاء بلفظ الرؤية :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون من الوحي ، لأنه ليس من بابة الاجتهاد ، ولا قدرة للإنسان على ذلك ، لأن الذي يُري رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما هو الله تعالى .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ـ في حديث الهجرة الطويل ، وفيه ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « قد رأيتُ دارَ هجرتكم ، رأيتُ سبخةً ذات نخل ، بين لابتين ». رواه البخاري[١].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ـ في قصة صلاة الكسوف ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما من شيء لم أكن أُريتُه إلا رأيتُه في مقامي هذا ، حتى الجنةُ والنارُ ، فأُوحيَ إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم مثلَ ـ أو قريباً ـ من فتنة المسيح الدجال ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم صلى لنا يوماً الصلاة ، ثم رقىٰ المنبرَ ، فأشار بيده قِبَلَ قِبْلة المسجد فقال :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الكفالة : باب جوار أبي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة ، وقد ورد ذلك عن غيرها . وانظر فضائل المدينة المنورة .

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الكسوف : باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، رقم (١١).

قد أُريت الآن منذ صليتُ لكم الصلاةَ : الجنةَ والنارَ مُمثَّلَتَيْن في قُبل هذا الجدار ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ». رواه البخاري[1].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : أشرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على أُطم من آطام المدينة ، فقال : « هل ترون ما أرىٰ ؟ إني لأرىٰ مواقعَ الفتن [تقع] خلال بيوتكم كمواقع القطر ». متفق عليه[2].

في هذه الأحاديث أمور يهمني منها :

ـ رؤيته صلى الله عليه وآله وسلَّم لأمور كثيرة لا نعلمها .

ـ من الذي كشف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الحجابَ ؛ حتى رأى ما لم يكن قد رآه هو من قبل ؟ إنما هو الله تعالى .

ـ ما رآه صلى الله عليه وآله وسلَّم متعدد ؛ منه البعيد عن النظر ، ومنه المادي ذو الجرم المرئي ، ومنه غير المرئي ـ كمواقع الفتن ـ لكنه جُسِّد له حتى رآه .

ـ هذه الرؤيا هي رؤيا عين ، كما هو واضح من سياق الأحاديث .

ـ كل ذلك ليس في مقدور البشر ، إنما هو الوحي الخفي ، والله تعالى أعلم .

١٦ ـ كل ما جاء بلفظ التجاوز :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون من الوحي ، لأن الذي يفعل ذلك إنما هو الله تعالى ، وليس للعقل فيه مجال .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « كان رجل يداين الناس ، فكان يقول لفتاه : إذا أتيتَ معسراً فتجاوز

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب القصد والمداومة على العمل ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب آطام المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب نزول الفتن كمواقع القطر ، رقم (٩).

عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا ، قال : فلقي الله فتجاوز عنه ». متفق عليه [1].

وقد رواه الشيخان[2] من حديث حذيفة بن اليمان وأبي مسعود البدري الأنصاري رضي الله تعالى عنهم .

هذا عن رجل فيما مضى ، ويخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم عنه أن الله تعالى تجاوز عنه بعد ما مات ، وهذا إخبار بغيب ، لا يقدر عليه البشر ، إنما هو الوحي لا غير .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله تجاوز لأمتي ما حدَّثتْ به أنفسَها ؛ ما لم يتكلموا أو يعملوا به ». متفق عليه[3].

فمثل هذا ليس من بابة النفس البشرية ، ولا للاجتهاد فيه مسرح ، لأنه أضافه إلى الله تعالى ، فهو من الوحي الخفي ، والله تعالى أعلم .

١٧ ـ كل ما جاء بلفظ الإخبار :

كل حديث جاء بلفظ الإخبار ومشتقاته ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « خبّرني ربي » أو « يُخبرني اللطيف الخبير » أو « أخبرني »... ونحو ذلك ، فكل ذلك دالٌ دلالةً صريحةً واضحةً على أن ما كان كذلك فهو وحيٌ من الله تعالى ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب : (٥٤) حدثنا أبو اليمان . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب إنظار المعسر ، رقم (٣١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب من أنظر معسراً ، وكتاب الاستقراض : باب حسن التقاضي . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٦ – ٣٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الطلاق : باب الطلاق في الإغلاق والمكره والسكران ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر ،... رقم (٢٠٠ ، ٢٠١).

لأن الذي يخبر رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيما يتعلق بالغيوب إنما هو الله تعالى ، أو يرسل جبريل عليه السلام فيخبره .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ألا أحدثكم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وعني ؟ قلنا : بلى ،... الحديث بطوله في قصة ذهابه صلى الله عليه وآله وسلَّم ليلاً إلى البقيع ، ولحوقها به صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي آخر الحديث : فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم « ما لَكِ يا عائش حشيا رابية ؟ ». قالت : قلت : لا شيء . قال : « لتُخْبِريني أو لَيُخْبِرَني اللطيف الخبير »... وفي آخر الحديث ، فقال [جبريل] : « إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم » قالت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : « قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ». رواه مسلم[1].

وعنها رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يُكثر من قول : « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » فقال : « خَبَّرني ربي أني سأرىٰ علامةً في أمتي ، فإذا رأيتُها أكثرت من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ، فقد رأيتُها ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ فتح مكة ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ ». رواه مسلم[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال : بلغ عبدَ الله بنَ سلام مقْدمُ رسول الله صلى

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لهم ، رقم (١٠٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، رقم (٢٢٠).

الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ ، فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبيٌّ : ما أولُ أشراط الساعة ؟ وما أولُ طعامٍ يأكله أهلُ الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولدُ إلى أبيه ؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « خَبَّرني بهن آنفاً جبريل ». قال : فقال عبد الله : ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة ، الحديث بطوله ، وفي آخره قال عبد الله : أشهد أنك رسول الله . الحديث ، رواه البخاري[1].

والنصوص في هذا الباب كثيرة .

١٨ - كل ما جاء بلفظ الجعل :

كل حديث جاء بلفظ الجعل ومشتقاته ، سواء قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « جُعلت لي » أو « جعلني الله » أو « يجعل لي » ونحو ذلك ، فكل ذلك دالٌّ دلالةً صريحةً واضحةً على أن ما كان كذلك فهو وحيٌ من الله تعالى .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُعطيت خمساً ؛ لم يعطهن أحدٌ قبلي ،... وجُعلت لي الأرض طيبةً ، طهوراً ومسجداً ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه . وقد مر ذكره من قبل .

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فُضِّلنا على الناس بثلاثٍ : ،... وجُعلت لنا الأرض كلُّها مسجداً ، وجُعلت تربتُها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء ». رواه مسلم . وقد مر ذكره من قبل .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾، وفي غيرهما .

« فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ ؛... وجُعلت لي الأرضُ طُهوراً ومسجداً ،... ». رواه مسلم . وقد مر ذكره قبل قليل .

وقد توسعت في الخصائص وعظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم في ذكر هذه الفقرة .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يكثر أن يقول قبل أن يموت : « سبحانك وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ».

قالت : قلت : يا رسول الله ؛ ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتَها تقولها ؟ قال : « جُعلت لي علامةٌ في أمتي ، إذا رأيتُها قلتُها ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ إلى آخر السورة . رواه مسلم[1].

١٩ـ كل ما جاء بلفظ الاطلاع :

كل حديث جاء بلفظ الاطلاع ومشتقاته ، سواء قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلَّم » أو « اطَّلَع » أو « ما أطلعكم عليه » أو « ما اطَّلَعتم عليه » أو « اطلعتُ »... ونحوها ، فكل ما كان كذلك فهو دالٌ دلالةً صريحةً واضحةً على أن ما كان كذلك فهو وحيٌ من الله تعالى ، لأن الذي يُطلع نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما هو الله عز وجل .

فعن عمران بن حُصين رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « اطَّلعتُ في الجنة ، فرأيت أكثرَ أهلها الفقراءَ ، واطَّلعت في النار فرأيتُ أكثر أهلها النساء ». رواه البخاري[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، رقم (٢١٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب ما جاء في صفة الجنة ، وأنها مخلوقة ، وفي غيرهما .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ، ولا أُذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، دخراً من بَلْهِ ما أُطلعتم عليه ـ وعند مسلم : « ما أَطلعكم الله عليه » ـ ثم قرأ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . متفق عليه[1] .

قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « دخراً » أي جعلت ذلك لهم مدخوراً .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من بله ما أُطلعتم عليه » قال الخطابي رحمه الله تعالى : كأنه يقول : دع ما أُطلعتم عليه ، فإنه سهل في جنب ما ادُّخِر لهم .

قال الحافظ رحمه الله تعالى[2] : هذا لائق بشرح « بله » بغير تقدم (مِن) عليها ، وأما إذا تقدَّمت (من) عليها فقد قيل : هي بمعنى : كيف ، ويقال بمعنى أَجْل ، ويقال : بمعنى غير ، أو سوىٰ ، وقيل : بمعنى فضل .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لعل اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ـ أو فقد غَفرتُ لكم » . متفق عليه[3] .

قد ورد في الصحيحين وغيرهما عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، كما بينته في (فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم) .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة السجدة : باب قوله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الجنة ، رقم (٣ ، ٤) .

(٢) فتح الباري (٨ : ٥١٦) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب فضل من شهد بدراً ، وباب غزوة الفتح ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم ،... رقم (١٦٠) .

٢٠ ـ كل ما جاء بلفظ الاشتراط :

كل حديث جاء بلفظ الاشتراط ومشتقاته ، سواء قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « شرطي على ربي » أو « اشترطتُ على ربي »... ونحو ذلك ، فهو ذلك دالٌ دلالةً صريحةً واضحةً أن ما كان كذلك فهو من الوحي ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يُشترط عليه شيء ، إنما هو تفضل وتكرم منه ، وما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في ذلك فهو بينه وبينه تعالى ، وليس هو في الكتاب الكريم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إنما أنا بشرٌ ، وإني اشترطتُ على ربي عز وجل ؛ أيُّ عبدٍ من المسلمين سببتُه أو شتمتُه : أن يكون ذلك له زكاةً وأجراً ». رواه مسلم[1] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان عند أُمّ سُليم يتيمةٌ ـ وهي أم أنس ـ فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم اليتيمةَ ، فقال : « آنتِ هِيَهْ ؟ لقد كبرتِ ، لا كبر سنُّك » فرجعت اليتيمةُ إلى أم سُليم تبكي ، فقالت أم سُليم : ما لك يا بنيَّة ؟ قالت الجاريةُ : دعا عليَّ نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن لا يكبُر سنِّي ، فالآن لا يكبر سني أبداً ـ أو قالت : قرني ـ فخرجت أم سُليم مستعجلةً تلوث خمارَها ، حتى لقيت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما لك يا أمَّ سُليم ؟ » فقالت : يا نبيَّ الله ؛ أدعوتَ على يتيمتي ؟ قال : « وما ذاك يا أم سُليم ؟ » قالت : زعَمَتْ أنك دعوتَ أن لا يكبر سنُّها ولا قرنُها . قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب من لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاةً وأجراً ورحمة ، رقم (٩٤).

وسلَّم ثم قال : « يا أمَّ سُليم ، أما تعلمين أن شرطي على ربي ، أني اشترطتُ على ربي فقلت : إنما أنا بشرٌ ، أرضى كما يرضى البشرُ وأغضب كما يغضب البشرُ ، فأيما أحدٍ دعوتُ عليه من أمتي بدعوةٍ ليس لها بأهل ؛ أن يجعلَها له طهوراً وزكاةً وقربةً يُقرِّبه بها منه يوم القيامة ». رواه مسلم[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم رجلان ، فكلّماه بشيء لا أدري ما هو ، فأغضباه ،... الحديث ، وفي آخره قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أوَ ما علمتِ ما شارطتُ عليه ربي ؟ قلتُ : اللهم إنما أنا بشر ، فأيُّ المسلمين لعنتُه أو سببتُه فاجعله له زكاةً وأجراً ». رواه مسلم[٢].

٢١ ـ كل ما كان بلفظ الضمان :

كل حديث جاء بلفظ الضمان ، سواء قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من يضمن لي » أو « ضمن الله » أو « تضمَّن الله » أو « مضمون على الله » أو « ضامناً على الله » أو « أضمن له »... ونحو ذلك ، فهو ذلك دالٌ دلالةً صريحةً واضحةً أن ما كان كذلك فهو وحيٌ من الله تعالى ، لأنه لا يمكن أن يقول النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على الله سبحانه وتعالى ما لم يقله ، ولا يلزم الله تعالى ما لم يتكفل به .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من يضمن لي ما بين لَحْيَيْه وما بين رِجليه أضمن له الجنة ». رواه البخاري[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٩٥).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب حفظ اللسان ،...

« تَضَمَّن الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا جهاداً في سبيلي ، وإيماناً بي ، وتصديقاً برسلي ، فهو علي ضامنٌ أن أُدخله الجنةَ ، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه ، نائلاً ما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ ، والذي نفس محمد بيده ؛ ما من كَلْم يُكْلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلِم ، لونُه لونُ دم ، وريحُه مسكٌ ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

٢٢ ـ كل ما جاء بلفظ الوجوب :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون من الوحي ، لأنه لا يوجب على الله شيء ، ولا مجال للعقل في ذلك ، إنما هو تفضل من المولى تعالى أخبر به حبيبَه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ في قصة إرسال حاطب رضي الله عنه كتاباً إلى أهل مكة يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إليهم يومَ الفتح ، وقول عمر رضي الله عنه : دعني أضرب عنقه ـ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا عمر ؛ وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ». قال فدمعت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

وعن بُريدة رضي الله عنه قال : بينا أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إذ أتته امرأةٌ فقالت : إني تصدَّقتُ على أمي بجارية ، وإنها ماتت . قال : فقال : « وجب أجرُك ، وردَّها عليك الميراث ». الحديث ، رواه مسلم [3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ، رقم (١٠٣ – ١٠٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاستئذان : باب من نظر في كتاب من يُحذر على المسلمين ليستبين أمره ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم ، رقم (١٦١).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الصيام : باب قضاء الصيام عن الميت ، رقم (١٥٧ ، ١٥٨).

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنةُ ، ومن أثنيتم عليه شرّاً وجبت له النارُ ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يا أبا سعيد ؛ من رضي بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ نبيّاً : وجبت له الجنة ». رواه مسلم[2]. والنصوص كثيرة في ذلك .

فالله تعالى لا يتألّى عليه أحد ، ولا يوجب عليه شيء ، إنما هو تفضُّلٌ منه تعالى ، أخبر به نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فنطق به ، والله تعالى أعلم .

٢٣ ـ كل ما جاء بلفظ العرض :

كل حديث جاء بهذا اللفظ ومشتقاته فمثله يكون من الوحي ، لأن الذي يعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في مثل هذه الأمور ؛ إنما هو الله تعالى ، لأن البشر لا طاقة لهم بذلك .

فعن جابر رضي الله عنه قال : كَسَفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في يوم شديد الحر ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بأصحابه ، فأطال القيام ،... الحديث بطوله ، وفيه : ثم قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنه عُرض عليَّ كلُّ شيء تولَجونه ، فعُرضت عليَّ الجنةُ ؛ حتى لو تناولتُ منها قطفاً أخذتُه ـ أو قال : تناولت منها قطفاً ـ فقصرت يدي عنه ، وعُرضت

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب ثناء الناس على الميت ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى ، رقم (٦٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات ، رقم (١١٦).

عليَّ النارُ ، فرأيتُ فيها امرأةً من بني إسرائيل تُعذَّبُ في هرةٍ لها ربطتها ، فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، ورأيت أبا ثمامة عمرَو بنَ مالك يجرُّ قصبَه في النار ،... » الحديث بطوله ، رواه مسلم ، وروىٰ البخاري قطعاً منه[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن أصحابه شيء ، فخطب فقال : « عُرِضت عليَّ الجنةُ والنارُ ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً » قال : فما أتىٰ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يومٌ أشدُّ منه . قال : غطوّا رؤوسَهم ولهم خنين... الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، رفعه قال : « تُعرض الأعمال في كل يومِ خميسٍ واثنينِ ، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشركُ بالله شيئاً ، إلا من كانت بينه وبين أخيه شحناءُ ، فيقال : ارْكوا هذين حتى يصطلحا ، ارْكوا هذين حتى يصطلحا ». رواه مسلم[3].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « عُرضت عليَّ أعمال أمتي ؛ حسنُها وسيِّئُها ، فوجدتُ في محاسن أعمالها : الأذى يُماط عن الطريق ، ووجدتُ في مساوي أعمالها : النخاعةَ تكون في المسجد لا تُدفن ». رواه مسلم[4].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الكسوف : باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، رقم (٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب ما يكره من كثرة السؤال ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب توقيره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وترك سؤاله عما لا ضرورة إليه ،... رقم (١٣٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب النهي عن الشحناء والتهاجر ، رقم (٣٦).

(٤) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها ، رقم (٥٧).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اركوا هذين » أي أخروهما ، من ركاه يركوه ركواً .

فمثل هذا لا يكون من واقع البشرية ، لأن الذي عَرض ذلك على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكشف له الحجابَ ؛ حتى رأى الأنبياء عليهم السلام ، وما في الجنة والنار ، وجسَّد له الحسنات والسيئات وسائر الأعمال ،... إنما هو الله عز وجل ، وقد تكرر ذلك ، كما هو بين في الأحاديث التي ذكرتها والتي لم أذكرها ، والله تعالى أعلم .

٢٤ ـ كل ما جاء عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله :

كل حديث من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله جل شأنه مما لم يرد ذكره في القرآن الكريم أصلاً ، أو جاء مجملاً فجاء في السنة مفصَّلاً أو مبيَّناً فهذا من الوحي ، إذ لا يمكن للبشر مهما كان أن يتحدَّث عن الله تعالى وما اتصف به باجتهاد من عنده .

وأذكر هنا رؤوسَ بعض الفقرات للتنبيه من غير استيعاب ، ولا ذكرٍ للنصوص ، فمن ذلك :

قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « عجب ربكم » « عجب الله » « إن الله ينهاكم عن » « إن الله كره لكم » « لله أَفرحُ بتوبة عبده » « إن الله يحب أن » « إن الله اصطفى » « إن الله اطلع » « إن الله زوى لي الأرض » « إن الله سمى المدينةَ » « إن الله كتب الإحسانَ » « إن الله يُحدِث من أمره ما يشاء » « إن الله لا يقبض العلمَ » « إن الله لا ينظر إلى صوركم » « إن الله وضع الحقَّ على لسان عمر » « إن الله يبعث ريحاً من اليمن » « إن الله خلق الخلق » « إن الله يرضى لكم ».

« إن الله جعل » « إن الله أوحى إليَّ » « إن الله وملائكته يصلّون على » « إن الله يبغض » « إن الله تجاوز » « إن الله يقبل توبة » « إن الله حبس » « إن الله أعدَّ » « إن الله يُدني » « إن الله سيخلص رجلاً » « إن الله قبض » « إن الله وعدني » « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا » « إن الله يباهي » « إن الله سلَّط » « إن الله أعطى كلَّ ذي حق حقه » « اشتد غضب الله » « إن لله تسعة وتسعين اسماً » « إن لله مائة رحمة ».

« إن لله عباداً ليسوا بأنبياء » « إن لله ملائكة سياحين » « إن لله ملائكة سيّارة » « من الذي يتألى على الله » « إنما يرفع الله ويخفض » « إن الله ينزل في الثلث الليل الأخير » « حقُّ الله على » « حقٌّ على الله » « أبغض الحلال إلى الله » « ما أذن لشيء ما أذن لنبيٍّ » « لله أشد فرحاً » « ما أحدٌ المدحُ أحب إليه من الله » « إن الله يمنعني » « الله أعلم بما كانوا عاملين » « الله سماكَ لي » « إن الله اتخذني خليلاً » « إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل » « إن الله إذا أراد بعبد خيراً » « إن الله إذا أراد رحمةَ أمة » « إن الله إذا تكلم بالوحي » « إن الله إذا حرَّم شيئاً » « إن الله إذا خلق العبدَ للجنة ».

« إن الله أمرني أن أقرأ عليكَ » إن الله تكفل لي » « إن الله جميل يحب الجمال » « إن الله حرَّم على الأرض » « إن الله خلق الرحم » « إن الله رفيق يحب الرفق » « إن الله زوى لي » « إن الله لا يستحي من الحق » « إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام » « إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن » « إن الله يحب أن تُؤتى رخصُه » « إن الله يدني المؤمن منه يوم القيامة » « إن الله يعذِّب المصوِّرين » « إن الله يغار » « إن الله يقبل توبة العبد » « إن الله تعالى يقول » « إن الله يمهل الظالم » « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم » « لله أشد أُذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن »...إلخ.

وما ذكرته فهو للتدليل لا للاستيعاب ، إذ الأحاديث في ذلك كثيرة جدّاً ، والمقصود هنا بيان أن كلَّ ما كان عن الله تعالى مما ورد عن أسمائه وصفاته وأفعاله ،... مما لا ذكر له في القرآن الكريم فهو من الوحي الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأنه لا يمكن أن يكون من بابة البشرية ، ولا يمكن أن ينسب إلى الله تعالى ما لم يقله ، والله تعالى أعلم

٢٥ ـ كل ما جاء من إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن نفسه الشريفة :

فكل حديث جاء عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يتحدَّث فيه عن نفسه الشريفة ، أو عما خصه الله تعالى به ـ سواء عن أمته أو عن الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ أو عن الفضائل التي أكرمه الله تعالى بها ـ مما لم يرد ذكره في القرآن الكريم ـ فهو من الوحي الذي أوحاه الله تعالى إليه[1] ، لأن مثل ذلك ليس للعقل فيه مسرح ، ولا للاجتهاد فيه مجال .

ومن ذلك :

كان صلى الله عليه وآله وسلَّم نبيّاً وآدم عليه السلام منجدل في طينته ، وهو أولىٰ بالأنبياء عليهم السلام من أممهم ، وبالمؤمنين من أنفسهم ، كونه صلى الله عليه وآله وسلَّم خيرة الخلق ، وسيد ولد آدم عليه السلام ، هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أمنةٌ لأمته ، تأخيره صلى الله عليه وآله وسلَّم دعوته المستجابة ليوم القيامة ، إلى يوم يرغب إليه الخلق كلهم ، بما فيهم الأنبياء عليهم السلام ،...

---

(١) انظر الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلَّم عن سائر الأنبياء عليهم السلام ، وعظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، والأمانة العظمى ونبيها صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقد جمعت ما فصلت هنا .

أُعطي صلى الله عليه وآله وسلَّم جوامعَ الكلم ، ومفاتيح خزائن الأرض ، وإسلام قرينه ، ونصره الله تعالى بالرعب مسيرة شهر ، وجعله الله عز وجل إماماً بالأنبياء عليهم السلام في بيت المقدس ، وقرنه خير قرون بني آدم ، وما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم يرى من ورائه كما يرى من أمامه ، وأن من رآه في المنام فقد رآه حقّاً ، وأنه سيراه في اليقظة ، وعرض عليه الأنبياء عليهم السلام مع أممهم ، وجعل خاتم النبوة بين كتفيه ، وأطلعه الله جل شأنه على المغيبات ،...

وأعطاه من الشفاعات الكثير ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم أول من يبعث ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم أول من يجيز على الصراط ، وهو أول من يقرع باب الجنة ، وهو أول من يدخلها ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم إمام الأنبياء ، وخطيبهم ، وكلهم عليهم السلام تحت لوائه صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم القيامة ، وأعطاه الله جل شأنه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وأعطاه الكوثر ، ولواء الحمد ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم أكثر الأنبياء عليهم السلام تبعاً ،...

وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم سيد الأولين والآخرين يوم القيامة ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم حبيب الله تعالى وخليله ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم أول شافع ومشفع ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم مبشِّر الناس يوم يفزع إليه الأنبياء عليهم السلام ، ويوحي الله تعالى إليه في سجوده تحت العرش ما لم يُوح إلى أحد من قبل ومن بعد ،...

وأكرمه الله تعالى بإسلام قرينه ، ونصَرَه بالصَّبا ، وأطلعه على الجنة والنار ،

وجعل ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة ، وجعل قوائم منبره رواتب في الجنة ، ومنبره على حوضه ، وهو على ترعة من ترع الجنة ،...

إلى غير ذلك مما ذكرته في الخصائص والأمانة العظمى وعظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم وفضائل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة ، لكني اقتصرت على بعض ما ورد تحت هذه العناوين ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل كما قلت ، والله تعالى هو الموفق والمعين .



الفصل الرّابع
الأدلّة من دلائل النّبوّة

المقصود بدلائل النبوة : المعجزات والخوارق التي يجريها الله عز وجل على يد رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا يمكن أن تقع من بشر بصفته البشرية ، وليس للاجتهاد فيها مسرح ولا مجال ، وإنما صَدَرَت من مشكاةِ النبوة ، لتدل على صدقه في دعواه للنبوة .

لكن لا أريد ـ هنا ـ المعجزات والخوارق الدالة على صدقه صلى الله عليه وآله وسلَّم في دعوى النبوة ـ فتلك لها بحث مستقل ـ وإن كانت تتداخل مع ما نحن فيه من بعض الجوانب ـ إنما أريد بالدلائل هنا : الأحاديث التي قالها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهي من علم الغيب ، سواء كانت عن الغيوب القديمة الموغلة في القدم ، أو الغيوب المستقبلة الموغلة في المستقبل ـ والتي تدل على أن ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لم يصدر بالاجتهاد ، ولا من واقع البشرية ـ لأن ذلك لا يمكن الاطلاع عليه ـ إنما يصدر عن وحي أوحاه الله عز وجل إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فنطق به .

وأول من تكلم في علامات النبوة ـ فيما أحسب والله تعالى أعلم ـ الإمامُ البخاري رحمه الله تعالى ، حيث عقد بابين في صحيحه ، سماهما : (علامات النبوة في الإسلام) وَ (بقية أحاديث علامات النبوة في الإسلام) ثم تلاه عدد من العلماء ، فأفردوها في كتب مستقلة ؛ كأبي داود وابن قتيبة وابن أبي الدنيا وأبي الشيخ ، في آخرين

رحمهم الله تعالى ، ومن أوسع من تكلم في الدلائل : الحافظ أبو نُعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى ـ لكن لم يصلنا كتابه ، إنما الذي وصلنا هو مختصره ـ ثم الحافظُ البيهقي رحمه الله تعالى ، وهو أوسعها ، ثم تلاهم آخرون ، ومن أواخر من تكلم فيها الإمام ابنُ كثير رحمه الله تعالى ـ حيث اعتمد على الإمام البيهقي ، ولخَّص ما كتبه السابقون ـ ثم الحافظُ السيوطيُّ رحمه الله تعالى في كتابه الخصائص الكبرى ،... وغيرهم كثير رحمهم الله تعالى[1].

وقبل البحث في الدلائل أحب أن أجيب على إشكال قد يقع في ذهن القارئ ، وهو طالما أن الغيب لله عز وجل فهل تتعارض تلك النصوص معه ؟

ـ الغيب لله سبحانه وتعالى :

لقد أخبرنا الله تعالى أن الغيب له جل شأنه ، وأنه تعالى استأثر به ، وأنه لا أحد من الخلق يعلم الغيب .

قال الله عز وجل : ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾[2].

وقال الله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3].

بل أخبر جل شأنه أن نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو أفضل خلقه ، وأكرمهم عليه ـ لا يعلم الغيب ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[4]. في آيات متعددة .

---

(١) انظر كشف الظنون (٧٦٠).

(٢) سورة يونس (٢٠).

(٣) سورة النمل (٦٥).

(٤) سورة الأنعام (٥٠).

ـ اطلاع الله تعالى بعض خلقه على غيبه :

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى اختصاصه بالغيب ، إلا أن يُطلع بعضَ خلقه عليه ، تكرماً ومنحةً ، فإذا أطلعهم عليه علموه ، فهم لا يعلمون إلا ما أطلعهم عليه ، وإذا أطلعهم جل وعز حفظه ورعاه .

فقال الله تعالى : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾[1] .

فقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ صريح بذلك .

لذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مما أكرمه الله تعالى بإطلاعه على المغيبات السابقة واللاحقة ، ولهذا كثرت الأحاديث عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، في إخباره عن تلكم الغيوب .

وقبل الخوض في بيان دلائل النبوة الدالة على كون سنته صلى الله عليه وآله وسلَّم من الوحي أذكر بعض الأحاديث الإجمالية ، التي تدل على اطلاعه صلى الله عليه وآله وسلَّم على الغيوب البعيدة جدّاً ـ ماضياً ـ من بدء الخليقة ـ ومستقبلاً ـ حتى دخول أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ـ وما بينهما ، للتذكار .

ـ بعض الأحاديث التي تدل على اطلاعه صلى الله عليه وآله وسلَّم على الغيوب إجمالاً :

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قام فينا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم مقاماً ، فأخبرنا عن بدء الخلق ؛ حتى دخل أهلُ الجنة منازلَهم ، وأهلُ النار منازلَهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه . رواه البخاري[2].

أي أخبرهم صلى الله عليه وآله وسلَّم منذ بدء الخليقة حتى نهاية العالَم .

---

(١) سورة الجن (٢٦ – ٢٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ .

وعن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مقاماً ، ما ترك شيئاً يكونُ في مقامه ذلك إلى قيام الساعة ، إلا حدَّث به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علِمَه أصحابي هؤلاء ، وإنه لَيكون منه الشيءُ قد نسيتُه ، فأراه ، فأذكُرُه ، كما يذكرُ الرجلُ وجهَ الرجلِ إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

فقوله رضي الله تعالى عنه : (ما ترك شيئاً...) أي لم يترك شيئاً ذا بال مهم ، يحتاجون إلى معرفته : إلا أخبرهم صلى الله عليه وآله وسلَّم به .

وعنه رضي الله عنه قال : أخبرني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بما هو كائن ؛ إلى أن تقوم الساعة ، فما منه شيءٌ إلا قد سألتُه ، إلا أَني لم أسأله ما يُخرج أهلَ المدينة من المدينة . رواه مسلم[2].

وعن عَمْرو بن أَخطب رضي الله عنه قال : صلى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الفجرَ ، وصعد المنبرَ ، فخطبنا حتى حضرت الظهرُ ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبرَ ، فخطبنا حتى حضرتِ العصرُ ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبرَ ، فخطبنا حتى غربت الشمسُ ، فأخبَرَنا بما كان ، وبما هو كائن ، فأعلمُنا أحفظُنا . رواه مسلم[3].

فهذا فيه كسابقه (فأخبرنا بما كان ـ أي فيما مضى ـ وبما هو كائن ـ في المستقبل)، والله تعالى أعلم .

ففي هذه النصوص الكريمة ـ وغيرها مما لم أذكره ـ دلالةٌ على أنه صلى الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب القَدَر : باب ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فيما يكون إلى قيام الساعة ، رقم (٢٣).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٥).

عليه وآله وسلَّم أخبرهم عن الماضي السحيق ـ بدء الخلق ـ وعن المستقبل البعيد ـ بعد دخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ولا يمكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد قال ذلك اجتهاداً من واقع البشرية ؛ إذ ليس في ذلك مسرح ، ولا للعقل فيه مجال ، لأنه من الغيب ، والإنسان مهما كان لا يعلم الغيب ، إلا إذا أطلعه الله تعالى عليه ، لذا فما قاله صلى الله عليه وآله وسلَّم فهو الوحي الذي آتاه الله تعالى ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لا ينطق عن الهوىٰ ، إنما يتبع ما يُوحىٰ إليه . والله تعالى أعلم .

ودلائل النبوة كثيرة جداً ، ولله الحمد والمنة ، وهي متنوعة متعددة ، لكني أقتصر على ذِكرِ ما يخص بحثنا هذا ـ وهي أربعة أنواع ـ وجعلتها تحت أربعة مباحث ، هي :

المبحث الأول : إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الغيوب الماضية البعيدة .

المبحث الثاني : إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الكائنات الغيبية المستقبلة فوقعت طبق ما أخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم به ، على أن يكون ذلك في زمن أصحابه رضي الله تعالى عنهم .

المبحث الثالث : إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الغيوب المستقبلة .

المبحث الرابع : إجابته عن مسائل فكانت طبق الواقع .

لكني سأقتصر على ذكر بعض ما ورد في الصحيحين أو أحدهما من باب الاختصار ، وإلا ففي غيرهما أحاديث صحيحة كثيرة ، مما يدخل في هذا الباب ، والله تعالى هو الموفق والمعين .



المبحث الأول
إخباره صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الغيوب الماضية البعيدة

وبالنظر فيما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم من الأحاديث النبوية الشريفة ؛ التي تتحدث عن الغيوب الماضية نجدها قسمين :

الأول : تتحدث عن الأنبياء والرسل السابقين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، سواء ذكرتهم بأسمائهم ، أولم تذكر أسماءهم . والأحاديث في ذلك كثيرة .

الثاني : تتحدث عما حصل في الأمم الماضية ، سواء كان قد عرفت أقوامهم ، أم لا ، مما لم يرد ذكره في القرآن الكريم ، ولا يُعرف في كتاب ، وهذا كثيرٌ جداً أيضاً .

أولاً : الأحاديث التي تتحدث عن الأنبياء السابقين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام :

إن الأحاديث الشريفة التي وردت عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وهي :

تتحدّث عن الأنبياء السابقين عليهم السلام كثيرة ، وهي نوعان :

١ ـ ما جاء عن الأنبياء عليهم السلام مع تعيينهم بأسمائهم :

إن الأحاديث التي تتحدَّث عن الأنبياء السابقين عليهم السلام ، مع التصريح بأسمائهم كثيرة ، لكنني أقتصر على ذكر ما ورد في الصحيحين أو أحدهما ، لا لأن ما ليس في الصحيح ليس صحيحاً !!! وإنما هو زيادة في اليقين ، وتخفيف في العزو ، وحتى لا أُثقل الحواشي ، وإلا فقد ذكرت في الأصل مجموعةً مما لم

يرد ذكره في الصحيحين ، وذكرت من صحَّح تلك الأحاديث من المتقدمين ، لأني لا أعتمد على المُحْدَثين ، لأن الخير في اتباع من سلف .

ـ ذكر عناوين الموضوعات :

لكني قبل ذكر الأحاديث سأذكر عناوين الموضوعات ، ثم أذكر بعض الأحاديث الشريفة كنماذج ، والله تعالى المستعان ، فمن ذلك :

بيان خَلق آدم عليه السلام وطوله ، وسلامه عليه السلام على الملائكة وردّهم عليه ، ومحاجة آدم وموسى عليهما السلام ، وطواف إبليس بآدم عند خَلقه ، وإنذار نوح عليه السلام أمتَه الدجال ، ووصيته لبنيه ، واختتان إبراهيم عليه السلام وهو ابنُ ثمانين سنة ، وتعويذه إسماعيل وإسحٰق عليهم السلام ، وما حصل له ولزوجه في مصر ، وأن إسماعيل عليه السلام كان رامياً ، وما حصل له في مكة ،...

وأن يوسف عليه السلام هو الكريم ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابن الكريم عليهم السلام ، واغتسال أيوب عليه السلام عارياً ، ونزول رَجْل الجراد من ذهب عليه ، وحثوه في ثوبه ، ومرور يونس عليه السلام في ثنية هرشىٰ على ناقة حمراء وهو يلبي ، وخُلق موسى عليه السلام ، وما كان بينه وبين بني إسرائيل ، وأذيته من قِبَلهم ، واغتساله منفرداً ، وسؤاله عن أدنى أهل الجنة ، وما حصل له مع ملَك الموت ،...

وتخفيفِ القرآن على داود عليه السلام ، وصلاته وقيامه بالليل ، وبيان غَيرتِه ، وأكلِه من عمل يده ، وقضاءِ سليمان عليه السلام بين المرأتين ، وطوافه على تسعين ـ أو مائة ـ امرأة ، وأن زكريا عليه السلام كان نجاراً ، وعن قَوام عيسى عليه السلام ، وأن الشيطان نخس في الحجاب ولم ينخس فيه ، وما حصل له مع السارق ،...إلخ.

ـ ذكر بعض الأحاديث للتنبيه والإشارة :

أقتصر على ذكر بعض الأحاديث القليلة ، للتنبيه والإشارة ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، والله تعالى الموفق والمعين .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « خلق الله عز وجل آدمَ على صورته ، طولُه ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فسلِّم على أولئك النفر ـ وهم نفر من الملائكة جلوسٌ ـ فاستمِع ما يحيبونك ، فإنها تحيتُك وتحية ذريتك . قال : فذهب فقال : السلامُ عليكم . فقالوا : السلام عليكَ ورحمةُ الله . قال : فزادوه : ورحمةُ الله . قال : فكلُّ من يدخل الجنةَ على صورة آدم ، وطوله ستون ذراعاً ، فلم يزل الخلق ينقص بعده إلى الآن ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اختتن إبراهيم النبيُّ عليه السلام وهو ابن ثمانين سنةً ، بالقدوم ». متفق عليه[2].

والقدوم : يحتمل أن يكون المراد به : البلد ، ويحتمل أن يكون المراد : الفأس ، والله تعالى أعلم .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ـ وهو النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وبينهما من الزمن عليهما الصلاة والسلام ألوف السنين ؟ إنما هو الوحي .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ، رقم (٢٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاستئذان : باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام ، رقم (١٥١).

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : مر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم على نفر من أَسْلَم ينتضلون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ارموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً ، وأنا مع بني فلان » فأمسك أحدُ الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما لكم لا ترمون ؟ » فقالوا : يا رسول الله ؛ نرمي وأنت معهم ؟ قال : « ارموا وأنا معكم كلكم ». رواه البخاري[1].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ، وهو النبي الأميُّ الذي لم يقرأ ولم يكتب ، وبينهما من الزمن ألوف السنين ؟ إنما هو الوحي الذي لا نعلمه ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « بينما أيوب يغتسل عرياناً خرَّ عليه رِجلُ جرادٍ من ذهبٍ ، فجعل يحثي في ثوبه ، فناداه ربُّه : يا أيوب ، ألم أكن أغنيتُك عما ترىٰ ؟ قال : بلى يا رب ، ولكن لا غنىٰ لي عن بركتك ». رواه البخاري[2].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ، وهو النبي الأميُّ الذي لم يقرأ ولم يكتب ، وبينهما ألوف السنين ؟ إنما هو الوحي الذي لم نعلمه ، والله تعالى أعلم .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراةً ، ينظر بعضُهم إلى سوأة بعض ، وكان موسى عليه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الغسل : باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ، وفي غيرهما .

السلام يغتسل وحده ، فقالوا : ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر [أي عظيم الخصيتين] قال : فذهب مرة يغتسل ، فوضع ثوبه على حجرٍ ، ففر الحجرُ بثوبه ، قال : فجمح موسى بإثره ، يقول : ثوبي حجرُ ، ثوبي حجرُ ، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى ، قالوا : والله ما بموسى من بأس ، فقام الحجرُ حتى نُظر إليه . فأخذ ثوبَه ، فطفق بالحجر ضرباً ،... ». متفق عليه[1].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ، وبينهما ألوف السنين ؟ وقد جاء في القرآن ذكر الإيذاء من غير تبيان ، فبينه صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾[2].

فما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هو بيان لذلك الإيذاء ، ولم يُذكر تفصيلُه في القرآن الكريم ، إنما الذي أخبره به هو الوحي .

وعن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أحبُّ الصيام إلى الله صيامُ داود ؛ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وأحبُّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود ؛ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثَه ، وينام سدسَه ». متفق عليه[3].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بصيام وقيام داود عليه السلام ، وبينهما الزمن الطويل ، وهو النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب ؟

---

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب من فضائل موسى عليه السلام ، رقم (١٥٥ ، ١٥٦).

(٢) سورة الأحزاب (٦٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ،... وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ،... رقم (١٨٩).

وليس لما قال صلى الله عليه وآله وسلَّم ذكرٌ في القرآن الكريم ؟ إنما هو الوحي الذي لا نعلمه .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « قال سليمان : لأطوفن الليلةَ على تسعين امرأةً ، كلُّهُنَّ تأتي بفارسٍ يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبُه : قل : إن شاء الله ، فلم يقل إن شاء الله ، فطاف عليهنَّ فلم تحمل منهن إلا امرأةٌ واحدةٌ ، جاءت بشقِّ رجل . وايْمُ الذي نفسي بيده ، لو قال إن شاء الله ؛ لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون ». متفق عليه[1].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ، وهو أمر أُسريٌّ خاص ، وليس له ذكرٌ في القرآن الكريم ، وبينهما سنون طويلة ، وهو ـ بأبي وأمي ـ صلى الله عليه وآله وسلَّم نبيٌّ أميٌّ ، لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يطلع على كتب الأقدمين ، ولم يخالط أحداً من أهل الكتاب ؟ إنما هو الوحي الخفي لا غير ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « كان زكريا نجّاراً ». رواه مسلم[2].

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « رأى عيسى ابنُ مريم رجلاً يسرق ، فقال له عيسى : أسرقتَ ؟ قال : كلا ، والذي لا إلٰه إلا هو . فقال عيسى : آمنتُ بالله ، وكذَّبتُ عيني ـ وعند مسلم : نفسي ـ ».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب كفارات الأيمان : باب الاستثناء في الأيمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب الاستثناء ، رقم (٢٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب من فضائل زكريا عليه السلام ، رقم ١٦٩).

متفق عليه[1].

فمثل هذه الواقعة لم يحضرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأن بينه وبينها مئات السنين ، فمن الذي أخبره بها ؟ وهو النبي الأمي ، الذي لم يقرأ ولم يكتب ؟ إنما هو الوحي لا غير ، والله تعالى أعلم .

فمثل هذه الأحاديث الشريفة لا يمكن أن تكون بالاجتهاد ، لأنه لا مجال للاجتهاد فيها ، وليس للعقل فيها مسرح ، وبينه صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين أقرب واحد من الأنبياء عليهم السلام نحو (٥٧٠) عاماً ، وهو الذي لم يقرأ ولم يكتب ، وما ينبغي له ذلك ، ولم يخالط في صغره أحداً من أهل الكتاب ، أو يجلس إليه ، خاصة ومكة لا يوجد فيها أحد منهم ، لذا فمثلُ ذلك لا يمكن أن يكون إلا من مشكاة النبوة ، الذي تلقاه صلى الله عليه وآله وسلَّم عن طريق الوحي ، الدال على أن السنة من الوحي ، والله تعالى أعلم .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، لكني اقتصرت على ذكر بعضها للتنبيه ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل .

٢ ـ ما جاء عن الأنبياء عليهم السلام من غير تسمية لهم :

وهذا كثير أيضاً ، لكني سأذكر عناوين الموضوعات ، ثم أقتصر على ذكر بعض ما ورد في الصحيحين أو أحدهما أيضاً .

ـ ذكر عناوين الموضوعات :

إن الأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة ، لكني سأقتصر على ذكر بعضها ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضائل عيسى عليه السلام ، رقم (١٤٩).

مما ورد في الصحيحين أو أحدهما من باب الاختصار ، وإلا ففي غير الصحيحين صحيح كثير ، فمن ذلك :

إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم أن لكل نبيٍّ حواريين ، وإعطاء كل نبيٍّ آية على مثلها آمن البشر ، وأن لكل نبيٍّ بطانتين ، وأن كلَّ واحد منهم رعىٰ الغنم ، وتخيير كل نبيٍّ عند المرض بين الدنيا والآخرة ، وأنهم تنام أعيُنُهم ولا تنام قلوبُهم ، وأن لكل واحد منهم دعوة مستجابة ؛ قد تنجَّزها في حياته ، وأن الله تعالى إذا أراد رحمةَ أمة قبض نبيَّها قبلها ليكون لها فرطاً ، وأنهم أخوة لعلّات ، وأن كلَّ واحد منهم بُعث إلى قومه خاصة إلا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن كل واحد منهم حذّر أمتَه من الدجال ، وأن منهم من لم يصدِّقه من أمته إلا رجلٌ واحد ،...

وأن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ ، وأن الشمسَ حُبست لنبيٍّ من الأنبياء ، وأن الله تعالى عاتب نبيّاً حرَّقَ قريةَ النمل لقَرْص واحدةٍ منها له ، وأن واحداً منهم كان يخط ، وأنه لم يُعط أحد منهم سورةَ الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، وأن هلاك الأمم السابقة باختلافهم على أنبيائهم ، وكثرة أسئلتهم ، وما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ،...إلخ.

ـ ذكر بعض الأحاديث للتنبيه والإشارة :

وأقتصر على ذكر بعض الأحاديث القليلة للتنبيه والإشارة ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، والله تعالى الموفق والمعين .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما بعث الله نبيّاً إلا رعىٰ الغنمَ » فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : « نعم ، كنتُ أرعاها

على قراريط لأهل مكة ». رواه البخاري[1].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ؟ إنما هو الوحي لا غير .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يومَ القيامة ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

ورويناه من حديث أنس وغيره رضي الله تعالى عنهم .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ؟ إنما هو الوحي لا غير .

وعنه رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما من الأنبياء من نبيٍّ إلا أُعطي من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحاه الله إِلَيَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة ». متفق عليه[3].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ، وهو النبيُّ الأمي ؛ الذي لم يقرأ ولم يكتب ؟ إنما هو الوحي لا غير .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في الناس فأثنىٰ على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجّالَ فقال : « إني لأُنذركموه ، ما من نبيٍّ إلا وقد أنذره قومَه ، لقد أنذره نوحٌ قومَه ، ولكن أقول

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإجارة : باب رعي الغنم على قراريط .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب لكل نبي دعوة مستجابة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب اختباء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم دعوة الشفاعة لأمته ، رقم (٣٣٤ - ٣٤٥).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «بُعثتُ بجوامع الكَلِم»، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... رقم (٢٣٩).

لكم فيه قولاً لم يقله نبيٌّ لقومه : تعلَّموا أنه أعور ، وإن الله تبارك وتعالى ليس بأعور ». متفق عليه[1].

وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ؟ إنما هو الوحي لا غير .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما بعث الله من نبيٍّ ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كان له بطانتان ؛ بطانةٌ تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانةٌ تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم الله ». رواه البخاري[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول ـ وهو صحيح ـ : « إنه لم يُقبض نبيٌّ قط حتى يرى مقعدَه من الجنة ، ثم يُخَيَّرُ » فلما نزل به ، ورأسُه على فخذي ، غُشي عليه ، ثم أفاق ، فأشخص بصرَه إلى سقف البيت ، ثم قال : « اللهم الرفيقَ الأعلى » فقلت : إذاً لا يختارنا ، وعرفتُ أنه الحديثُ الذي كان يحدِّثنا به وهو صحيحٌ .

قالت : فكان آخرَ كلمةٍ تكلَّم بها : « اللهم الرفيقَ الأعلى ». متفق عليه[3].

وفي رواية للبخاري[4] عنها رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب كيف يعرض الإسلام على الصبي ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب ذكر ابن صياد ، رقم (٩٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب بطانة الإمام وأهل مشورته .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب في فضائل عائشة رضي الله تعالى عنها ، رقم (٨٧).

(٤) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة النساء : باب ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ .

عليه وآله وسلَّم يقول : « ما من نبيٍّ يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة ،... » ثم ذكرت بنحو الحديث .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ، وهو لم يشهد وفاة أيٍّ منهم ، لأن أقربهم منه وهو عيسى عليه السلام يبعد نحو من خمسمائة عام ، فكيف يخبر بذلك عنهم ؟ إنما هو الوحي لا غير ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نزل نبيٌّ من الأنبياء تحت شجرة ، فلدغته نملةٌ ، فأمر بجهازه فأُخرج من تحتها ، وأمر بها فأُحرقت في النار . قال : فأوحى الله إليه : فهلّا نملة واحدةً ». متفق عليه[1].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ؟ وبينه صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين هذا النبي عليه السلام ألوف السنين ، إنما هو الوحي لا غير ، والله تعالى أعلم .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « غزا نبيٌّ من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعني رجلٌ قد ملَك بُضْعَ امرأة ، وهو يريد أن يبنيَ بها ولـمّا يَبنِ ، ولا آخرُ قد بنى بنياناً ولـمّا يرفع سُقُفَها ، ولا آخرُ قد اشترىٰ خَلَفاتٍ وهو منتظرٌ وِلادها .

قال : فغزا ، فأدنى للقرية حين صلاة العصر ، أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : أنتِ مأمورةٌ ، وأنا مأمورٌ ، اللهم احبسها عَلَيَّ شيئاً ، فحُبست عليه حتى فتح الله عليه .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ،... وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب النهي عن قتل النمل ، رقم (١٤٩ - ١٥٠).

قال : فجَمعوا ما غنموا ، فأقبلت النارُ لتأكله ، فأبت أن تطعمه ، فقال : فيكم غُلولٌ ، فليبايعني من كلِّ قبيلةٍ رجلٌ ، فبايعوه ، فلصقت يدُ رجل بيده ، فقال : فيكم الغُلول ، فلتبايعني قبيلتُك ، فبايعته ، قال : فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة ، فقال : فيكم الغُلول ، أنتم غللتم . قال : فأخرجوا له مثلَ رأس بقرةٍ من ذهب ، قال : فوضعوه في المال - وهو بالصعيد - فأقبلت النارُ فأكلته .

فلم تَحِلَّ الغنائمُ لأحد مِن قَبلنا ، ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفَنا وعجزَنا فطيَّبها لنا ». متفق عليه[1].

في هذا الحديث خمسة أمور غيبية ، ولا يمكن أن يُخبر عنها بمحض الاجتهاد ، فمن الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بها ؟ وبينه صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين ذلك النبي عليه السلام ألوف السنين ؟ إنما هو الوحي لا غير ، والله تعالى أعلم .

فمثل هذه الأحاديث لا يمكن أن تكون بالاجتهاد ، لأنه ليس للعقل فيها مسرح ، ولا مجال فيها للاجتهاد ، إنما هي من مشكاة النبوة الدالة على أنها من الوحي غير المتلو ، والله تعالى أعلم .

والأحاديث الشريفة في هذا الباب كثيرة ، والحمد لله تعالى ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، والله تعالى أعلم .

ثانياً : الإخبار عن الأمم السابقة :

إن الأحاديث التي وردت عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «أحلت لكم الغنائم» وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ، رقم (٣٢).

وسلَّم وهي تتحدث عن الأمم السابقة كثيرة جدّاً ، لكني أذكر هنا بعضَ ما ورد في الصحيحين أو أحدهما فقط ، لكن بعد ذكري لعناوين الموضوعات .

ـ ذكر عناوين الموضوعات :

إن الأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة جدّاً ، ولكني سأقتصر ـ بإذن الله تعالى ـ على ذكر بعضها ، مما ورد في الصحيحين أو أحدهما ، للتقريب والإشارة ، ومن ذلك :

تقدير المقادير قبل خلق السمٰوات والأرض ، جعل الرحمة مائة قسم ، وإنزال قسم منها إلى الأرض ؛ لتتراحم به الخلائق ، وخلق الملائكة من نور ، وجعل الأرواح جنوداً مجندةً ، واصطفاء كنانة مِن ولد إسماعيل عليه السلام ، وأن عَمرَو بنَ لُحَيٍّ أولُ من سيَّب السائبة ، وأن المسجدَ الأقصى بُني بعد المسجد الحرام بأربعين سنة ،...

وأن الوزغَ كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام ليؤجِّجها ، وأن هلاك عادٍ بالدَّبور ، ولولا ادخار بني إسرائيل اللحمَ لم يخنز ، وأن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ، وأن بني إسرائيل دخلوا على أستاههم مخالفين أمر الله عز وجل ، ولِمَ سُمِّي الخضر بهذا الاسم ، وقصة موسى والخضر عليهما السلام ، وأن الغلام الذي قتله الخضر : طُبع كافراً ، وبيان عدد الذين تكلَّموا في المهد مع بيان أسمائهم وقصصهم .

وقصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ، وقصة الذي كان به جرح فانتحر ، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى ، وقصة أصحاب الغار الثلاثة ، وقصة البغِيِّ التي سقت الكلبَ فغفر لها ، وقصة الرجل الذي سقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له ، ودخول المرأة النار بسبب هرة حبستها ولم تطعمها

حتى ماتت ،...

وتجاوز الله تعالى عمن كان يتجاوز عن المعسرين ، وقصة الزارع الذي سمع الصوت من السحاب ، وقصة الذي استقرض مالاً فلم يجد مركباً يوصل المال إلى صاحبه ؛ فأرسله في خشبة ،...

وصفة عاقر الناقة ، وحال الذي لم يعمل خيراً قط ، وقصة الذي قتل تسعة وتسعين ، وكلام البقرة والذئب ، وقصة الذي خسف الله تعالى به الأرض ، وقصة الذي ابتاع أرضاً فوجد فيها كنزاً ، وشكر الله جل شأنه لمن نحّى غصن شوك عن الطريق ، وقصة السارق من بني إسرائيل ، ووجود المحَدَّثين في الأمم السابقة ،...

وقصة إرسال الطاعون رجساً على بني إسرائيل ، وتحريم الشحم عليهم ، واحتيالهم في أكله ،...إلخ.

- ذكر بعض الأحاديث للتنبيه والإشارة :

أقتصر على ذكر بعض الأحاديث القليلة للتنبيه والإشارة ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، والله تعالى الموفق والمعين .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « كتب الله مقاديرَ الخلائق قبل أن يَخلق السمٰوات والأرضَ بخمسين ألفَ سنة . وقال : وكان عرشُه على الماء ». رواه مسلم[1].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك وهو النبي الأمي ؛ الذي لم يقرأ ولم يكتب ؟ مع عدم إمكانية الوصول إلى معرفة ذلك بالاجتهاد والعقل والمشاهدة ، لبعد الزمن ، إنما هو الوحي لا غير ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب القدر : باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، رقم (١٦).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله خلق - يوم خلق السمٰوات والأرضَ - مائةَ رحمة ، كلُّ رحمة طباقَ ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمةً ، فبها تعطف الوالدةُ على ولدها ، والوحشُ والطيرُ بعضُها على بعض ، فإذا كان يومُ القيامة أكملها بهذه الرحمة ». رواه مسلم[1].

ورواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك وهو النبي الأمي ؛ الذي لم يقرأ ولم يكتب ؟ ولا يوجد شيء من ذلك في القرآن الكريم ، ولا يمكن الوصول إليه عن طريق العقل والاجتهاد ، لبعد الزمن ، إنما هو الوحي لا غير ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ؛ أيُّ مسجد وُضع في الأرض أولَ ؟ قال : « المسجد الحرام » قال : قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : « ثم المسجدُ الأقصى » قلت : كم كان بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » ثم قال : « حيثما أدركتَ الصلاة فصلِّ ، والأرضُ لك مسجدٌ ». متفق عليه[2].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ؟ وبينه صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين بناء المسجد الحرام والمسجد الأقصى ألوف السنين ، إنما هو الوحي الذي أخبره بذلك ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، رقم (٢١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب (١١) حدثنا موسى بن إسماعيل ، وباب قول الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب المساجد - في أوله - رقم (١ ، ٢).

وعن أم شريك رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أمر بقتل الوَزَغِ ، وقال : « كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام ». متفق عليه[1].

فمن أخبره صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ، وهو - بأبي وأمي - النبي الأمي ؛ الذي لم يقرأ ولم يكتب ، وبينهما ألوف السنين ، ومثل هذا لا يعرف بالمشاهدة لبعد العهد ؟ إنما هو الوحي لا غير ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثةٌ ؛ عيسى [ابن مريم].

وكان في بني إسرائيل رجلٌ يقال له : جُريج ، كان يصلي ، فجاءته أمُّه فدعته ، فقال : أُجيبُها أو أُصلي ؟ فقالت : اللهم لا تُمُتْه حتى تُريَه وجوهَ المومسات . وكان جُريجٌ في صومعته ، فتعرَّضت له امرأةٌ ، فكلمته ، فأبىٰ ، فأتت راعياً ، فأمكنته من نفسها ، فولدت غلاماً ، فقالت : من جُريج ، فأتوه فكسروا صومعتَه وأنزلوه وسبّوه ، فتوضأ وصلّى ، ثم أتىٰ الغلامَ ، فقال : من أبوك يا غلام ؟ فقال : الراعي . قالوا : نبني لك صومعتَك من ذهب ، قال : لا ، إلا من طين .

وكانت امرأةٌ تُرضع ابناً لها من بني إسرائيل ، فمر بها رجلٌ راكبٌ ذو شارة ، فقالت : اللهم اجعل ابني مثلَه ، فترك ثديَها ، وأقبل على الراكب ، فقال : اللهم لا تجعلني مثلَه ، ثم أقبل على ثديها يمصه - قال أبو هريرة رضي الله عنه : كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يمص إصبعه - ثم مُرَّ بأَمَةٍ ، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثلَ هذه ، فترك ثديَها فقال : اللهم اجعلني مثلَها . فقالت :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾. وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب استحباب قتل الوزغ ، رقم (١٤٢ ، ١٤٣).

لِمَ ذاك ؟ فقال : الراكبُ جبار من الجبابرة ، وهذه الأَمَةُ يقولون : سرقتِ زنيتِ ، ولم تفعل ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وقد رواه مسلم بأطول ، كما رواه مقطعاً في عدد من الكتب .

وقد تكلم في المهد غيرُ هؤلاء ، كما في قصة ماشطة ابنة فرعون ـ كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ وكذا قصة الولد مع أمه في قصة الأخدود .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في قصة غلام جريج وابن المرأة الأخرى مع بُعد الزمن ، وهو النبيِّ الأمي ؟ إنما هو الوحي لا غير ، والله تعالى أعلم .

وعن جُندب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جُرحٌ ، فجزع ، فأخذ سكيناً فحزَّ بها يدَه ، فما رقأ الدمُ حتى مات ، قال الله تعالى : بادرني عبدي بنفسه ، حرَّمتُ عليه الجنةَ ». متفق عليه[2].

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « تلقت الملائكةُ روحَ رجل ممن كان قبلكم ، فقالوا : أعملتَ من الخير شيئاً ؟ قال : لا ، قالوا : تذكّر . قال : كنتُ أُداينُ الناسَ ، فآمر فتياني أن يُنظِروا المعسرَ ، ويتجوَّزوا عن الموسر . قال : قال الله تعالى : تجوَّزوا عنه ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب (٤٨) ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾. وصحيح مسلم : كتاب البر : باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة ،... رقم (٧ ، ٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب ما يذكر عن بني إسرائيل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ،... رقم (١٨٠ ، ١٨١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب من أنظر معسراً . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب فضل =

ورُوياه[1] من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، ومن حديث أبي مسعود رضي الله تعالى عنه .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك كله ، وهو - بأبي وأمي - نبيٌّ أمِّيٌّ لم يقرأ ولم يكتب ؟ إنما هو الوحي لا غير ، لأن الحادثتين لا تؤخذان بالاجتهاد ، إنما هو النقل ، والنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لم يخالط أحداً من أهل الكتاب .

والأحاديث الشريفة في هذا الباب كثيرة ، ولله الحمد والمنة ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ؛ يجد بغيته ، إن شاء الله تعالى .



= إنظار المعسر ، رقم (٢٦ – ٣٠).

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب (٥٤) حدثنا أبو اليمان ، وكتاب الاستقراض : باب حسن التقاضي . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٦ – ٣١).

المبحث الثاني

إخباره صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الكائنات الغيبيّة المستقبليّة

فوقعت طبق ما أخبر به في زمنه أو زمن أصحابه رضي الله عنهم

إن الأحاديث التي وردت عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهي تتحدث عن الكائنات الغيبية المستقبلية ، والتي تحقّقت في زمانه أو في زمان أصحابه رضي الله تعالى عنهم كثيرة ، وهي نوعان :

النوع الأول : ذكره القرآنُ الكريم ، أو أشار إليه ، وهو كثير[1]. وهذا النوع لن أتعرض إليه ، ولن أذكر منه شيئاً ، لأنه لا يدخل فيما نحن بصدده من الدلائل ، لوجوده في القرآن الكريم .

النوع الثاني : ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة مما لم يرد ذكرُه في القرآن الكريم ، أو يشر إليه ، وهو كثير جداً أيضاً ، لكنني سأقتصر على ذكر بعض ما ورد في الصحيحين أو أحدهما فقط ، على سبيل الإشارة ـ وإن كان في غيرهما حديثٌ صحيح كثير ـ لكن بعد ذكري لعناوين الموضوعات ، والله تعالى المستعان .

ـ ذكر عناوين الموضوعات :

إن الأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً ، لكنني سأقتصر على ذكر بعضها مما ورد في الصحيحين أو أحدهما ، للتنبيه ، فمن ذلك :

إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الهجرةِ من مكة إلى المدينة ، وإخباره

---

(١) انظر : الشمائل لابن كثير (٣٥٠ – ٣٥٧).

صلى الله عليه وآله وسلَّم عن إتمام هذا الدِّين وظهورِه ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الخصائص التي خصَّه الله تعالى بها ، وعن استشهاد بعض أصحابه رضي الله عنهم (كعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير...) وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن قَتْلِهِ صلى الله عليه وآله وسلَّم لأُمَيَّةَ بنِ خلف ، وقتل أُبي ابن خلف ، وعن مصارع صناديدِ قريش في بدر ؛ مع تحديد أماكنهم قبل بدء المعركة ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الخلفاء بعده ، وعن البلوىٰ التي ستصيب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وعن الذراع المسمومةِ ، وعن الرجل يومَ خيبر أنه من أهل النار ، وعن الأنصارِ رضي الله عنهم أنهم يَقلِّون ، وأنهم سيجدون أثرةً بعده ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن فتح اليمن ، والشام ، والعراق ، ومدائن كسرىٰ ، ومصر ، وعن هلاك كسرىٰ وقيصر ، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله عز وجل ، وعن فتح الحيرة ، وخروجِ الظعينة منها ، وعن إفاضة المال حتى لا يوجد من يقبله ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن استشهاد أمراء غزوة مؤتة رضي الله عنهم ، وعن استشهاد أهل بئر معونة ، وعن موت النجاشي رضي الله تعالى عنهم ـ وكلهم في الأيام التي ماتوا فيها ـ وعن تقدُّمِ وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم قبل أمته ، والإشارة إلى وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم في المدينة ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم فَرَطٌ لهم ، وعن المبشَّرين من أهل الجنة ، وبمن يموتُ على الإسلام ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا قال لأحد أصحابه عند الحرب : يرحمه الله ، فإنه سيقتل شهيداً ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن حال من غلَّ شملة يوم خيبر وأنها

تشتعل عليه ناراً ، وأن الأرض لن تقبل الذي ارتد ، وعن فتح مكة ، ودخولها ، وأن قريشاً لن تغزوهم بل العكس ، وعن عدم دخول أحد ممن شهد بدراً والرضوان النارَ ، وأن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما سيحصل لهم الأنماط ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن انتقال أهل المدينة إلى الشام واليمن والعراق ، وأن دون الفتنة باب (وهو عمر رضي الله تعالى عنه) فإذا انكسر لن يُغلق ، وأنه رضي الله عنه من المُحَدَّثين ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الخوارج ، وعن المخدج عند قتال الخوارج ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن القتال بين الطائفتين الكبيرتين من المسلمين ، وعن الفتن في المدينة ، وعن طاعون عمواس ، وعن معركتي الجمل وصفّين ، وعن مروق مارقة عند اختلافٍ بين طائفتين من المسلمين ، والإشارة إلى الكذّابَين ؛ الأسود العنسي ومُسيلمة الكذاب ، وأن في ثقيف كذّاباً ومبيراً ، وعن أويس القرني رحمه الله تعالى ،...

وأن عمّاراً رضي الله تعالى عنه تقتله الفئة الباغية ، وأن عبدَ الله بنَ سلام رضي الله عنه لن يقتل بل يموت ، وعن فتح خيبر على يد الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن خطاب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لأهل مكة بمسير النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إليهم ، وعن المنافق يوم حنين وعن شيعته التي ستكون ، وعن سبب هبوب الريح الشديدة عند عودتهم من تبوك ، وعن المنافقين (١٢) يوم الثنية في تبوك ، وعمن تخلف في المدينة لعذر يوم سيرهم إلى تبوك ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن قدوم وفد عبد القيس ، وقصة الذي ضُرب في رجله منهم ، وعن قدوم وفد أهل اليمن ، وإخباره صلى الله عليه

وآله وسلَّم أبا هريرة رضي الله عنه بوصول غلامه يوم هجرته ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الآيات الست بين يدي الساعة ، وأولها موته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعن غزو فئام من الناس ، والإشارة إلى خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وشهادة عكاشة بن محصن ، وثابت بن قيس رضي الله عنهما ، وعن استدارة الزمان ، وعن تمادي الناس حتى يسألوا عن الله جل شأنه ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن سيادة الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما ، وعن الغزو في البحر ، وكون أم حرام رضي الله تعالى عنها معهم ، وعن قتال الترك ، وانخرام قرنه صلى الله عليه وآله وسلَّم بعد مائة عام ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم أن فاطمة رضي الله عنها أول أهله لحوقاً به ، وأن زينب أو سودة أول نسائه رضي الله عنهن لحوقاً به ، وعن ولادة ولده إبراهيم ، وأن له مرضعاً تتم رضاعَه في الجنة ، وعن بدء فتح ردم يأجوج ومأجوج ، وعمن قيل إنه مات أنه انتحر ، وعن اليهودي ورقص قلوصه به وهو متوجه إلى الشام ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم للصحابة رضي الله تعالى عنهم يوم حجة الوداع : لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا ،...إلخ.

وكل ذلك قد تحقّق طبق ما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ـ ذكر بعض الأحاديث للتنبيه والإشارة :

أقتصر على ذكر بعض الأحاديث القليلة للتنبيه والإشارة ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، والله تعالى الموفق والمعين .

فعن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم صعد أُحُداً ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله ، وقال : « اثبت أُحُد ؛ فإنما عليك نبيٌّ ، وصِدِّيقٌ ، وشهيدان ». رواه البخاري[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان على حِراء ، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبيب ، فتحركت الصخرةُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اهدأ ، فما عليك إلا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ ». رواه مسلم[2].

وقد ورد من حديث غيره أيضاً ، كما بينته في عدد من كتبي .

وقد تحقّق ، حيث قُتل هؤلاء الأخيار رضي الله تعالى عنهم جميعاً ، باستثناء الصديق رضي الله تعالى عنه ، فإنه هو الصديق . وكل هذه من الغيب ، فمن أطلعه صلى الله عليه وآله وسلَّم عليها ؟ إنما هو الوحي .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « يخرج في هذه الأمة (ولم يقل منها) قومٌ ؛ تَحقرون صلاتَكم مع صلاتهم ، وصيامَكم مع صيامهم ، وعملَكم مع عملهم ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حناجرَهم ، يمرقون من الدين ، كما يمرق السهم من الرمية ،... ».

زاد في رواية : « آيتهم : رجلٌ أسود ، إحدىٰ عضديه مثلُ ثدي المرأة ـ أو مثلُ البضعة ـ تدردر ، يخرجون على حين فرقة من الناس ».

قال أبو سعيد رضي الله عنه : فأشهد أني سمعت هذا الحديثَ من رسول الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لو كنت متخذاً خليلاً ،... » وباب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وباب مناقب عثمان رضي الله تعالى عنه .

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما ، رقم (٥٠).

صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأشهد أن عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتُمِس ، فوُجد ، فأُتي به ، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الذي نعت . متفق عليه[1].

فالحديث واضح فيما سيق له ، حيث وقع طبق ما أخبر به النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على المنبر ، والحسنُ بنُ عليٍّ إلى جنبه ، وهو يُقبِلُ على الناس مرةً ، وعليه أخرى ، ويقول : « إن ابني هذا سيدٌ ، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ». رواه البخاري[2].

وقد تم تنازل الحسن بن علي لمعاوية رضي الله عنهم في عام (٤١) والذي عُرف بعام الجماعة .

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخرُ فشكا إليه قطعَ السبيل ، فقال : « يا عدي ، هل رأيتَ الحيرةَ ؟ » قلت : لم أرها وقد أُنبئتُ عنها . قال : « فإن طالت بك حياة لَتَرَيَنَّ الظعينةَ ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله » ـ قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دُعّارُ طيء ؛ الذين سعَّروا البلادَ ؟ ـ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب من رايا بقراءة القرآن أو تأكّل به أو فخر به ، وكتاب الأدب : باب ما جاء في قول الرجل : ويلك ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، رقم (١٤٨ - ١٥٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلح : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «ابني هذا سيد ؛ ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين»، وفي غيرهما .

« ولئن طالت بك حياةٌ لتُفتَحَنَّ كنوز كسرىٰ » قلت : كسرىٰ بن هرمز ؟ قال : « كسرىٰ بن هرمز ، ولئن طالت بك حياةٌ لتَرَينَّ الرجلَ يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة ، يطلب مَن يقبله منه ، فلا يجد أحداً يقبله منه ،... ».

قال عدي : فرأيتُ الظعينةَ ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوزَ كسرىٰ بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لتَرَوُنَّ ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يُخرج ملء كفه... ». رواه البخاري[1].

فقد تحقق أمران في حياة عديٍّ رضي الله تعالى عنه ، وتحقق الثالث في زمن أمير المؤمنين سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه ، وكذا في زمن عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى . كما بينته في (أشراط الساعة).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا مع عمر ـ رضي الله عنه ـ بين مكة والمدينة ،... ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول : « هذا مصرعُ فلانٍ غداً ، إن شاء الله ».

قال عمر رضي الله عنه : فوالذي بعثه بالحق ، ما أخطؤوا الحدودَ التي حدَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... الحديث بطوله ، وفيه قصة مناداته صلى الله عليه وآله وسلَّم لأهل القليب . رواه مسلم[2].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ـ في روايته لغزوة بدر ، وفيه ـ : فقال رسول الله

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب عرض مقعد الميت في الجنة أو النار عليه ، رقم (٧٦).

صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هذا مصرع فلان » قال : ويضع يدَه على الأرض ، هٰهنا وهٰهنا .

قال : فما ماط أحدُهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . رواه مسلم[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم نعىٰ زيداً وجعفراً وابنَ رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرُهم [وفي رواية : خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم] فقال : « أخذ الرايةَ زيدٌ فأصيب ، ثم أخذها جعفرٌ فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بنُ رواحةَ فأصيب [وعيناه تذرفان] ثم أخذها خالد بنُ الوليد [سيفٌ من سيوف الله] من غير إمرةٍ ففُتح له ». رواه البخاري[2].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة صلب الحجاج لعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ، وفيه ـ قالت : أما إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حدثنا « أن في ثقيف كذاباً ومُبيراً » فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه . رواه مسلم[3].

الكذاب : هو المختار بن أبي عُبيد الثقفي .

والمبير ـ هو المُهلك ـ : هو الحجاج .

وكل ما ورد في هذه الأحاديث هي من الأمور الغيبية المستقبلة ، وقد تحققت

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب غزوة بدر ، رقم (٨٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب تمني الشهادة ، وكتاب المغازي : باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

(٣) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ، رقم (٢٢٩).

في زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ سواء في زمانه صلى الله عليه وآله وسلَّم أو بعد موته ـ ولا يؤخذ شيء من ذلك عن طريق العقل أو الاجتهاد ، إذ لا مسرح له فيها ، إنما يكون قد تلقاها صلى الله عليه وآله وسلَّم عن طريق الوحي ، والله تعالى أعلم .



المبحث الثالث
إخباره صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الغيوب المستقبليّة

الفرق بين هذا الباب والذي قبله : هو أن ما كان في الباب السابق قد تحقق كله في زمنه صلى الله عليه وآله وسلَّم أو زمن أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، أما هذا الباب فلم يتحقق في ذلك الوقت ، إنما تحقق بعضه بعد زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وكثير منه لم يتحقق بعد .

كما أن الباب الأول قد تحدَّث النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عن أمر واقع في زمانه فتحقق ، أما هذا فقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم عنه بأنه سيقع ، لذا أفردته في باب مستقل ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

ـ ذكر عناوين الموضوعات :

إن الأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً ، لكني سأقتصر على ذكر بعض ما ورد في الصحيحين أو أحدهما للاختصار لا لإهمال غيرهما ـ معاذ الله ـ وإلا فإن في غير الصحيحين أحاديث صحيحة كثيرة أيضاً ، خاصة وأنهما لم يستوعبا كلَّ الصحيح ، وقد ذكرت تلك الأحاديث في الأصل ، لأن القصد هو الإشارة والتنبيه ، والله تعالى هو الموفق والمعين ، فمن ذلك :

إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الفتن والملاحم ، وعن خوارج آخر الزمان ، وعن غزوِ القسطنطينية ، وعن قتالِ التركِ ، وعن فِتَنِ أغيلمةٍ من قريش ، وعن الدجاجلة والكذَّابين ، وعن القرون المفضَّلة ، وعن أشراط الساعة ، وعن النار التي ستخرج من أرض الحجاز ، وعن وجود الشر بعد هذا الخير في

هذه الأمة ، وعن الجلّادِين ، والنساءِ الكاسيات العاريات ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن بلوغ مُلْك أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعن استخلاف أمته فيها ، وعن منع العراق الشام ومصر أرزاقهم ، وعن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، وعن كسره للصليب ، وعن الخلفاء الاثني عشر ، وعن خروج أهل المدينة منها إلى الشام واليمن والعراق ، وعن عين تبوك والجنان فيها ،...إلخ.

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الطائفة المنصورة ، وعن اتباع هذه الأمة للأمم السابقة ، وعن حصول الردة ـ والعياذ بالله تعالى ـ في آخر الزمان قبيل قيام الساعة ، حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة ، وعن الهرج في آخر الزمان ، وأنه إذا وُضع السيف في هذه الأمة فلن يُرفع إلى قيام الساعة ، وعن الأقوام الذين بأيديهم مثل أذناب البقر ، وعن عدم مبالاة الناس بم يأخذون المال من حلٍّ أو حرام ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن تمني محبيه رؤيتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعمن يتَّبعون المتشابه ، وعمن يُحدِّثون بما لم يكن ، وأنه لا يُقتل بعد الفتح قرشيٌّ صبراً ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لا يخشى على أمته الفقر ، ولكن التنافس في الدنيا ، وعن قتال اليهود ، وأنه لو كان العِلْم بالثريّا لناله رجال من فارس ، وعن غزو الهند وفارس والترك ،... وعن يأس الشيطان أن يُعبد في جزيرة العرب ،...إلخ.

ـ ذكر بعض الأحاديث للتنبيه والإشارة :

أقتصر على ذكر بعض الأحاديث القليلة للتنبيه والإشارة ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، والله تعالى الموفق والمعين .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سنن من قبلكم ، شبراً بشبرٍ ، وذراعاً بذراعٍ ، حتى لو دخلوا في جحْرِ ضَبٍّ لاتبعتموهم » قلنا : يا رسول الله ؛ آليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ ». متفق عليه[1].

ورواه البخاري بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

وهذا حاصل ومشاهد ، سواء كان في العادات أو التقاليد أو العقائد أو البيوت أو اللباس أو الأخلاق أو المعاملات أو الكلام ،...

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « والذي نفسي بيده ، ليأتينَّ على أحدكم يومٌ ولا يراني ، ثم لأن يراني أحبُّ إليه من أهله وماله معهم ». رواه مسلم[2].

وفي رواية له[3] عنه رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « مِنْ أشدِّ أمتي لي حبّاً ؛ ناسٌ يكونون بعدي ، يودُّ أحدُهم لو رآني بأهله وماله ».

وهذا موجود ولله الحمد والمنة ، وقد حصل ، سواء بالنسبة للصحابة رضي الله تعالى عنهم ، أو من جاء بعدهم ، أسأله تعالى مزيد فضله وكرمه ورضاه .

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا تزال طائفةٌ من أُمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لتتبعن سنن من قبلكم»، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب العلم : باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، رقم (٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل النظر إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١٤٢).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب فيمن يود رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بأهله وماله ، رقم (١٢).

من خذلهم أو خالفهم ، حتى يأتي أمرُ الله ، وهم ظاهرون على الناس ». متفق عليه[1].

زاد البخاري في روايته : فقال معاوية : هذا مالك [بن يخامر] يزعم أنه سمع معاذاً يقول : « وهم بالشام ».

وقد روىٰ هذا الحديثَ عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم ، لأنه متواتر ، وقد جمعتُ طرقه من طريق (٢٧) صحابيّاً ، وانظر تعليقي على كتاب مسألة الاحتجاج بالشافعي ، وعظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... لبيان تعيين هذه الطائفة ، ومكان وجودها ، حيث ورد من عشر طرق من تلك الروايات أنهم في بلاد الشام .

وهذا موجود ولله الحمد والمنة ، لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، بخلاف ما حصل مع الأمم السابقة ، والله تعالى أعلم .

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله زوى ليّ الأرضَ ، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها ، وإن أمتي سيبلغ ملكُها ما زُويَ لي منها ، وأُعطيت الكنزين الأحمرَ والأبيضَ ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهلكَها بسنةٍ عامَّةٍ ، وأن لا يُسلِّطَ عليهم عدواً مِن سوىٰ أنفسهم ، فيستبيح بيضَتَهم ، وإن ربي قال : يا محمد ، إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ ، وإني أعطيتُك لأمتك أن لا أُهلكهم بسَنَةٍ عامَّةٍ ، وأن لا أُسلِّطَ عليهم عدواً مِن سوىٰ أنفسهم يستبيحُ بيضتَهم ، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها ـ أو قال مَن بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويَسبي بعضُهم بعضاً ». رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب حدثنا محمد بن المثنىٰ ، وكتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ... ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ،... » رقم (١٧٤ – ١٧٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، رقم (١٩).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « يتركون المدينة على خير ما كانت ، لا يغشاها إلا العوافي - يريد عوافيَ السباع والطير - ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وقد حصل الخروج عام (١٣٣٤ـ ١٣٣٧ هـ) كما أوضحته في فضائل المدينة المنورة ، ومختصره ، فانظرهما .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من الحجاز ، تُضيء أعناقَ الإبل ببُصرىٰ ». متفق عليه[2].

وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة ، وذكرت رواياتهم في (فضائل المدينة المنورة) فانظره إن شئت .

وقد تحقق هذا الحديث ، ووقع كما أخبرنا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وخرجت النارُ في الحجاز ، في جنوب شرق المدينة المنورة - كما حدَّد ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم - وذلك عام (٦٥٤هـ) على الوصف الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد توسعت في بيان ظهور تلك النار ، في فضائل المدينة المنورة ، فانظره إن شئت .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « صنفان من أهل النار لم أرهما ؛ قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر ؛ يضربون بها الناسَ ، ونساءٌ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب من رغب عن المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب في المدينة يتركها أهلها ، رقم (٤٩٨ – ٤٩٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الفتن : باب خروج النار . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز ،... رقم (٤٢).

كاسيات عارياتٌ مميلات مائلاتٌ ، رؤوسُهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنةَ ، ولا يجدن ريحَها ، وإن ريحَها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ». رواه مسلم[1].

والصنفان موجودان في زماننا هذا ، والمشتكىٰ إلى الله تعالى .

١ ـ وذلك أن حملة السياط : هم الشرطة الذين يحملون السياط بأيديهم ويضربون بها الناس . وانظر (أشراط الساعة ، ومختصرها).

٢ ـ وأما الكاسيات العاريات ، ففيه أقوال :

ـ يكشفن بعض أجسادهن ، ويسترن بعضها .

ـ يلبسن ثياباً رقاقاً ، تصف ما تحتها .

ـ تلبس ثياباً ضيقة تلتصق بالجسم ، فتجسم الجسد ، كأنها عارية وهي متسترة .

٣ ـ على رؤوسهن كأسنمة البخت : وذلك بجمع شعرها فوق رأسها ، خاصة في الأفراح والأعراس .

وكل ذلك حاصل في زماننا ، وهذا من المعجزات النبوية ، والدلائل التي تحققت .

ـ وأما عدم دخولها الجنة :

فإن كانت تستبيح محرماً معلوماً ـ من غير شبهة ـ فهذه ردة والعياذ بالله تعالى ـ لذا لا تدخل الجنة أصلاً .

ـ وأما إذا لم تستبح محرّماً ، فيكون المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أنها لا تدخل الجنة مع أول الداخلين ، وإنما تدخل النار ، فتعذّب على قدر ذنبها ، ثم تخرج منها بالشفاعة ، والله تعالى أعلم[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، رقم (٥٢ – ٥٣).

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للإمام النووي رحمه الله تعالى (١٧ : ١٩٠ – ١٩١).

وكل هذه الأمور المذكورة كانت فيما مضى ـ قبل وقوعها ـ من الغيب ، فكيف أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو النبيّ الأمي ؛ الذي لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يتلقّ عن أحد من الخلق ؟ إنما هو الوحي الذي خصه الله تعالى به ، بأبي هو وأمي صلوات الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « والذي نفسي بيده ، ليُوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريمَ ، حكماً مقسِطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية [زاد مسلم في روايته : ولتُتركَنَّ القلاص فلا يُسعىٰ عليها ، ولتذهبنّ الشحناء والتباغض والتحاسد] ويفيض المال ، حتى لا يقبله أحد ». متفق عليه[1].

وهذا لم يقع بعد ، ولكنه سيقع بإذن الله تعالى ، لأنه قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلَّم .

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، وما ذكرته كاف للتدليل ، على قدر هذا المختصر ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

☆☆☆☆☆

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب قتل الخنزير ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشرع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٢٤٢ – ٢٤٣).

المبحث الرّابع
إجابته صلّى الله عليه وآله وسلّم عن مسائل فكانت طبق الواقع

إن الأحاديث في هذا الباب كثيرة ، حيث تعرَّض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لمجموعة من الأسئلة ، فأجاب عنها ، وهذه الأجوبة ليست من علم البشر ، فهي من علوم الغيب ، سواء عن أصل خلق الإنسان ، أو من الغيب القديم ـ التاريخ ـ أو من علوم الآخرة ،...

وكذا إجابته صلى الله عليه وآله وسلَّم لبعض الصحابة رضي الله عنهم قبل أن يسألوه ، فأجاب عنها ، فكانت الإجابة طبق الواقع ،...

مما يدل على أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم تلقاها من الوحي ، لأن مثل هذه الإجابات لا تكون من عِلْم البشر ، إنما هي وحي لا غير ، لذا أحببت إفرادها في مبحث مستقل ، والله تعالى الموفق والمعين .

ـ ذكر عناوين الموضوعات :

كجوابه صلى الله عليه وآله وسلَّم لعبد الله بن سلام قبل إسلامه عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبيٌّ ، وهي عن الروح ، وعن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يُدرىٰ ما صنعوا ، وعن رجل طوّاف في الأرض بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وجوابه صلى الله عليه وآله وسلَّم حَبْر يهود عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ؛ عن خَلْق الوَلَد وكيف ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه ، وعن أول طعامٍ يأكله أهلُ الجنة ، وعن أولِ أشراط الساعة ، وجوابه صلى الله عليه وآله وسلَّم حبرَ يهودٍ عن أين يكون الناس يومَ تُبَدَّل الأرضُ غير الأرض والسمٰوات ، ومن أول الناس إجازةً ، وما

تحفتهم حين يدخلون الجنة ، وما غذاؤهم على إثره ، وما شرابهم عليه ، ومن أين يكون الولد ،...

وجوابه صلى الله عليه وآله وسلَّم لليهودي عن أن الولد يكون من الرجل والمرأة ، وبيانه صلى الله عليه وآله وسلَّم له عن ماء الرجل وماء المرأة ، وعن السواد الذي في القمر ، وجوابه صلى الله عليه وآله وسلَّم لعصابة من اليهود عن أربع خلال ؛ عن الطعام الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، وعن ماء الرجل وماء المرأة ، وكيف يكون الولد ذكراً ، وكيف يكون أنثى ، وكيف يكون النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في النوم ، ومن وليّه صلى الله عليه وآله وسلَّم من الملائكة .

وجوابه صلى الله عليه وآله وسلَّم لليهوديين عن الآيات التي أعطاها الله تعالى لموسى عليه السلام ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم اليهود عما في التوراة من أمر الرجم في الزاني المحصن ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم لليهود عن وصفه صلى الله عليه وآله وسلَّم في التوراة ، وتصديق الغلام اليهودي له ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم السائل اليهودي عن النجوم التي رآها يوسف عليه السلام ساجدةً له ،...

وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم أصحابه رضي الله عنهم عما في نفوسهم ؛ قبل أن يسألوه ؛ كإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم وابصة الأسدي رضي الله عنه عن البر والإثم ؛ قبل أن يسأله ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم الرجلَ الثقفيَّ عن صلاة الليل وركوعه وسجوده وصيامه وغسله من جنابة ، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصاري رضي الله عنه عن خروجه من بيته إلى البيت العتيق ووقوفه بعرفة وحلقه رأسه وطوافه بالبيت ورميه الجمار ،...إلخ، والله تعالى أعلم .

ـ ذكر بعض الأحاديث للتنبيه والإشارة :

أقتصر على ذكر بعض الأحاديث للتنبيه والإشارة ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، والله تعالى الموفق والمعين .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، بلغ عبدَ الله بنَ سلام مقدمُ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ ، فأتاه ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي . قال : ما أولُ أشراط الساعة ؟ وما أول طعامٍ يأكله أهلُ الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولدُ إلى أبيه ، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « خبّرَني بهن آنفاً جبريل ». قال : فقال عبد الله : ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أما أول أشراط الساعة : فنارٌ تحشر الناسَ من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهلُ الجنة : فزيادةُ كبد حوتٍ ، وأما الشبه في الولد ؛ فإن الرجلَ إذا غشي المرأةَ فسبقها ماؤهُ كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها ».

وفي رواية له : « إذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدَ ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعتِ الولدَ ».

قال : أشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأنك رسول الله . الحديث بطوله ، رواه البخاري[1].

لقد كانت إجابةُ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لعبد الله بن سلام ـ المطابقةُ للواقع ، ولِما عنده من علم أهل الكتاب ، وهو من كبار أحبار وعلماء اليهود ـ سبباً في إسلامه رضي الله عنه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب خلق آدم وذريته ، وكتاب مناقب الأنصار : باب (٥١) حدثني حامد بن عمر .

وعن ثوبان ـ مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ رضي الله عنه قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فجاء حَبرٌ من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد . فدفعته دفعةً كاد يُصرع منها . فقال : لِمَ تدفعني ؟ فقلت : ألا تقولُ يا رسول الله[1]! فقال اليهوديُّ : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهلُه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن اسمي محمدٌ الذي سماني به أهلي ».

فقال اليهوديُّ : جئتُ أسألك .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أينفعك شيءٌ إن حدَّثتُك ؟ » قال : أسمع بأذنيَّ . فنكتَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بعود معه ، فقال : « سل ».

فقال اليهوديُّ : أين يكون الناس يومَ تبدَّل الأرضُ غيرَ الأرض والسمٰوات ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هم في الظلمة دون الجسر ».

فقال : فمن أولُ الناس إجازةً ؟ قال : « فقراءُ المهاجرين ».

قال اليهوديُّ : فما تحفتُهم حين يدخلون الجنةَ ؟ قال : « زيادةُ كبد النون ».

قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : « ينحر لهم ثورُ الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ».

---

(١) أرجو أن يستفيد المسلمون من هذا الدرس العظيم ، الذي فعله ثوبان الصاحب المحبُّ رضي الله عنه ، وأقره عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولم ينكر عليه ، ولا يخاطبوا رسولهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بما نطق به هذا اليهودي ، باسمه الكريم المجرد (محمد) بل عليهم أن يوقروه ويعظِّموه ، ولا يذكرونه إلا بما خاطبه به الله تعالى ، فيقولون : (رسول الله ، يا أيها النبي ، يا أيها الرسول) فإنه تعالى لم يناده باسمه المجرد ، ولم يذكره الله تعالى إلا مقروناً بالنبوة والرسالة ، والله تعالى هو الهادي والموفق .

قال : فما شرابُهم عليه ؟ قال : « من عينٍ فيها تسمّى سلسبيلاً ».

قال : صدقتَ .

قال : وجئتُ أسألك عن شيء لا يعلمه أحدٌ من أهل الأرض ، إلا نبيٌّ أو رجلٌ أو رجلان . قال : « ينفعك إن حدَّثتُك ؟ » قال : أسمع بأذنيَّ .

قال : جئتُ أسألك عن الولد ؟ قال : « ماءُ الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعَلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة ؛ أَذْكَرا بإذن الله ، وإذا عَلا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنَثا بإذن الله ».

قال اليهوديُّ : لقد صدقتَ ، وإنك لنبيٌّ . ثم انصرف .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه ، حتى أتانيَ الله به ». رواه مسلم[1].

إن الذي يهمني هو إخبار النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن ذلك ليس من عنده ، إنما هو إتيان الله تعالى ، وتعليم جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وآله وسلَّم لهذه الأسئلة ، فأجاب اليهوديَّين - ابن سلام ، والحبر الآخر - بما هو موافق لما عندهما ، فكان تقريرهما المطابق ، والله تعالى أعلم .

وعن صفوان بن عسّال رضي الله عنه ، أن رجلين من أهل الكتاب قال أحدُهما لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي . فقال : لا يسمعن هذا ، فيصير له أربعة أعين . فأتياه فسألاه عن تسع آيات بيِّنات ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحيض : باب بيان صفة مني الرجل والمرأة ، وأن الولد مخلوق من مائهما ، رقم (٣٤).

الربا ، ولا تقذفوا المحصنةَ ، ولا تفروا من الزحف ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان لتقتلوه - أو لتهلكوه - وعليكم خاصةً يهود : أن لا تعدوا في السبت » فقبَّلا يديه ورجليه ، وقالا : نشهد أنك نبيٌّ .

قال : « فما يمنعكما من اتباعي ؟ » فقالا : إن داود دعا أن لا يزال في ذريته نبيٌّ ، وإنا نخشى إن تبعناك أن يقتلنا اليهود .

وقال أبو داود [الطيالسي] مرة : « ولا تقذفوا المحصنة » أو « لا تفروا من الزحف » قال أبو داود : شك شعبة . رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والترمذي والنسائي والطحاوي والحاكم وابن أبي عاصم والبيهقي في آخرين ، وصححه الترمذي والحاكم وأقره الذهبي وقال : صحيح ولا علة له[1].

والمراد بهذه الآيات - كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى - : الكلمات والمواعظ التي تلقاها موسى عليه السلام يوم تكليم الله تعالى له وهو على الطور ، بخلاف الآيات التي أيد الله تعالى بها موسى عليه السلام ، لإقامة الحجة على فرعون ،

---

(١) مسند الطيالسي (١٦٠ رقم ١١١٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٢٨٩) ومسند أحمد (٤ : ٢٣٩ ، ٢٤٠) وسنن الترمذي : كتاب الاستئذان : باب ما جاء في قُبلة اليد والرجل ، وكتاب التفسير : ومن سورة بني إسرائيل ، رقم (٢٧٣٣ ، ٣١٤٤) وسنن النسائي : كتاب تحريم الدم : باب السحر (٧ : ١١١ - ١١٢) والسنن الكبرى له : كتاب المحاربة : باب السحر (٢ : ٣٠٦ - ٣٠٧) وكتاب السير : باب تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ (٥ : ١٩٨ - ١٩٩) وشرح معاني الآثار (٣ : ٢١٥) وشرح مشكل الآثار (١ : ٥٥ - ٥٨ من طرق) والآحاد والمثاني (٤ : ٤١٤ - ٤١٥) والمستدرك (١ : ٩) والمعجم الكبير (٨ : ٨٣ - ٨٤) وحلية الأولياء (٥ : ٩٧ - ٩٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٦٦) ودلائل النبوة (٦ : ٢٦٨) والمهذب في اختصار السنن الكبير للذهبي (٣٢٧٢) وتفسير الطبري (١٧ : ٥٦٦ - ٥٦٧ من طرق) وانظر شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم لابن كثير (٣٣٧) والتفسير له عند آية الإسراء ، وانظر الدر المنثور (٥ : ٣٤٤) فقد عزاه لآخرين .

فتنبه ، والله تعالى أعلم .

وعن وابصة الأسدي رضي الله تعالى عنه قال : أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألتُه عنه ، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه ، فجعلت أتخطاهم .

فقالوا : إليك وابصةُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . فقلتُ : دعوني ، فأدنوَ منه ، فإنه أحبُّ الناس إليَّ أن أدنو منه .

قال : « دعوا وابصةَ ، ادن وابصةُ » مرتين أو ثلاثاً .

قال : فدنوت منه ، حتى قعدتُ بين يديه فقال : « يا وابصةُ أُخبرك أم تسألني ؟ » فقلت : لا ، بل أخبرني .

فقال : « جئتَ تسأل عن البر والإثم ؟ » فقلت : نعم ، فجمع أنامله ، فجعل ينكت بهن في صدري ، ويقول : « يا وابصةُ ، استفت قلبك ، واستفت نفسك - ثلاث مرات - البر ما اطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناسُ وأَفتَوْك ». رواه أحمد والدارمي وأبو يعلى والبزار والطبراني والبيهقي ، وقال الحافظ الهيثمي : أحد إسنادي الطبراني ثقات ، وحسنه النووي ، وله شواهد صحيحة[1]. وعزاه في الكنز لابن حبان .

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ من طريقين) وسنن الدارمي (٢ : ١٦١) ومسند أبي يعلى (٣ : ١٦٠ - ١٦٢ من طريقين) وكشف الأستار (١ : ١٠٣) والمعجم الكبير (٢٢ : ١٤٧ - ١٤٩ من طريقين) ومسند الشاميين (٣ : ١٦٤ - ١٦٥) ودلائل النبوة (٦ : ٢٩٢ - ٢٩٣) ورياض الصالحين (٢٧٧ رقم ٥٨٩) ومجمع الزوائد (١٠ : ٢٩٤) وكنز العمال (٣ : ٤٣١) وأصح شواهده حديث النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه عند مسلم ، وحديث أبي ثعلبة رضي الله تعالى عنه عند أحمد والطبراني وغيرهما .

وآله وسلَّم ، إذ جاءه رجلٌ بفرس يقودها ، عقوقٌ ، ومعها مهرة لها يتبعها ، فقال : من أنتَ ؟ فقال : « أنا نبيٌّ » قال : وما نبيٌّ ؟ قال : « رسول الله » قال : متى الساعة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « غيبٌ ولا يعلم الغيبَ إلا الله » قال : أرني سيفك . فأعطاه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم سيفه ، فهزه الرجل ، ثم ردَّه عليه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أما إنك لم تكن تستطيع الذي أردتَ » قال : وقد كان قال أذهب إليه فأسأله عن هذه الخصال . رواه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبي .

ورواه الطبراني في الكبير[1] وفيه « إنَّ هذا أقبل فقال : آته فأسأله ، ثم آخذ سَيفَهُ فأقتله ». وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في ظل حجرة من حجره ، وعنده نفر من المسلمين ، قد كاد يقلص عنهم الظل ، قال : فقال : « إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيْنَيْ شيطان ، فإذا أتاكم ، فلا تكلِّموه » قال : فجاء رجلٌ أزرق ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فكلَّمه ، قال : « علام تشتمني أنت ، وفلان وفلان ؟ » نفر دعاهم بأسمائهم . قال : فذهب الرجل فدعاهم ، فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[2] رواه أحمد والبزار والطبراني برجال الصحيح ،

---

(١) المستدرك (١ : ٧) والمعجم الكبير (٧ : ٢٠ – ٢١) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٢٧).

(٢) سورة المجادلة (١٨).

وصححه الحاكم على شرط مسلم[1].

وعن أبي شهم رضي الله عنه قال : كنتُ بالمدينة فمرت بي جارية ، فأخذت بكشحها ، ثم أتيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو يبايع الناسَ ، فلم يبايعني ، فقال : « ألستَ صاحبَ الجُبَيذة بالأمس ؟ » قلت : والله لا أعود ، فبايَعَني . رواه أحمد والنسائي وأبو يعلى والطبراني وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي[2]. وقواه الحافظ في الإصابة .

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، ومثل هذه النصوص لا يمكن أن تكون من واقع البشرية ، إنما هي من الوحي الذي لم نطلع عليه ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٤٠ ، ٢٦٧ ، ٣٥٠) والمعجم الكبير (١٢ : ٧ – ٨ ، ٨) وكشف الأستار (٣ : ٧٤) والمستدرك (٢ : ٤٨٢) ودلائل النبوة (٥ : ٢٨٢ – ٢٨٣) ومجمع الزوائد (٧ : ١٢٢) وانظر الدر المنثور (٨ : ٨٥) والخصائص الكبرى (٢ : ١٠٣).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٢٩٤) والسنن الكبرى : كتاب الرجم : باب (٤٢) (٤ : ٣١٩) والمعجم الكبير (٢٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣) ومسند أبي يعلى (٣ : ١١٢ – ١١٣) والمستدرك (٤ : ٣٧٧) والآحاد والمثاني (٥ : ١٣٨ ، ١٣٨ – ١٣٩) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٥ : ٢٩٣٢ – ٢٩٣٣) ودلائل النبوة (٦ : ٣٠٦) والإصابة (٧ : ٢٠٨ – ٢٠٩).

الفصل الخامس
الأدلّة من الإعجاز العلميّ في السّنة النّبويّة

وأعني بالإعجاز العلمي ما اصطُلِحَ عليه مؤخراً مما جاء في القرآن الكريم أو في السنة النبوية الشريفة ؛ مما له علاقة بالعلوم الكونية والعصرية ، فجاء العلمُ الحديثُ كاشفاً لما كان قد جاء فيهما ؛ صراحةً أو إشارة .

لكن المقصود هنا : هو الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، لأنها مجال البحث .

وإذا كان الشيخ طنطاوي جوهري رحمه الله تعالى قد جعل تفسيره : (الجواهر) مغطِّياً ـ حسب ما يراه ـ الآياتِ الكونيةَ في القرآن الكريم ، وما تقوم به هيئاتٌ متخصصةٌ من بحثٍ في (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) فإن كثيراً من الأحاديث النبوية ما زالت تنتظر دورَها في البحث العلمي أيضاً .

هذا وقد جَمعت الهيئةُ التأسيسية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة التابعةُ لرابطة العالم الإسلامي (١٧٤٤) حديثاً ، مما يدخل في العلوم الكونية والطبية ونحوهما ، وإن كان قد فاتها الكثيرُ ، لاقتصارها على الكتب التسعة فقط .

وقد جمعتُ عشرات الأحاديث الداخلة في ذلك ، أسأل المولى تعالى الإعانة ، وأفردتُ في ذلك رسالةً ؛ ذكرتُ فيها بعضَ ما ورد في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ورتبتُها حسب مختلف العلوم ، من بدء خلق الإنسان ، فالتشريح ، فالطب ، فالحيوان ، فالفلك ،... وانتهاء بما أسميته : نظام التوازن في الكون ، وقد طُبعت باسم (العلوم والإيمان) أسأل الله

تعالى قبولها ، كما ذكرتُ في الباب الخامس من (السنة النبوية وحي) مجموعةً من الأحاديث النبوية الشريفة ، مما جاء العلم الحديث مطابقاً لما كانت قد حوته ونطقت به ، لذا فمن أراد الاطلاع على الإعجاز العلمي في السنة النبوية فلينظر فيهما .

وما أكتبه هنا فهو مأخوذ منهما ، لكن على قدر هذا المختصر .

كما أفردت حديثاً واحداً من تلك الأحاديث التي جمعتُها ، والتي قد وصل العلمُ الحديثُ إلى منطوقِها[1] وهو حديث **(الذبابة)** وقد درسته من النواحي ؛ الحديثيةِ والفقهيةِ والطبيةِ ، والمراد بالإعجاز العلمي هو الجانب الأخير ، وهو الناحية الطبية ، وقد ذكرتُ التقاريرَ العلميةَ عن علماء غربيين ، ثم ثلاثة تقارير عن جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، أسأل الله تعالى له ولغيره من كتبي القبول .

وأذكر هنا عدداً من الأحاديث النبوية الشريفة ، التي جاء العلمُ الحديث مقرِّراً لما تضمنته . لكن أقتصر على الأمر العلمي ، وبشكل مختصر جدّاً ، ولن أتعرض لما حوته تلك الأحاديث الشريفة من الأمور الشرعية ، لأن القصد هو التنبيه على الأمور العلمية ، ومن أراد الزيادة في المعلومات فلينظر في الكتابين المذكورين ، والله تعالى هو الحافظ والمعين ، ومن ذلك :

١ ـ ليس من كل الماء يكون الولد :

لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الجنينَ لا يُخلق من جميع ماء الرجل الذي يقذفه في رحم المرأة عند المعاشرة بينهما ، إنما يُخلق من بعض ما يقذفه ، فعلما أنه حيوان واحد فقط ؛ هو النطفة .

---

(١) وقد طبع الطبعة الأولى عام (١٤٠٥هـ) بعنوان : الإصابة في صحة حديث الذبابة ، نشرته دار القبلة ، والجانب العلمي فيه من صفحة (١٣٥ - ١٨٦) وستعاد طباعته إن شاء الله تعالى بإضافات جديدة .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن العزل فقال : « ما مِن كلِّ الماء يكون الولد ، إذا أراد الله خَلْقَ شيءٍ لم يمنعه شيءٌ ». رواه مسلم[1].

في هذا الحديث النبوي الشريف ثلاثة أمور علمية محضة ، سبق بها الاكتشافات الحديثة ، وهي :

أ ـ ليس الخَلقُ يكون من جميع الماء ـ خلافاً لما كان يُعتقد إلى عهد قريب في الغرب ، مع تقلبهم في ذلك ـ علماً بأن الرجل يقذف في المرة الواحدة ما يقرب من نصف مليار نطفة ، ولكن لا يصل إلى البويضة إلا أقل من خمسمائة ، وقد يصل العشرات فقط ، ولكن الذي يُلقِّحُها حُوَيْنٌ واحد (نطفة).

ب ـ أن السقط قد يقع مبكِّراً قبل التخلق .

جـ ـ أن الحمل قد يقع بإذن الله تعالى مع تناول الأم موانعَ الحمل ، وهذا واضح من لفظ الحديث « إذا أراد الله خَلْقَ شيء لم يمنعه شيء ». والنصوص كثيرة في الدلالة على ذلك .

وهذا هو المشاهد الآن ، حيث وقع حَملُ كثير من النساء ، وهن يأخذن حبوبَ موانع الحمل ، أو وضعن ما يسمى بـ (اللولب) وقد سمعت عن عدد منهن ، كما حدثني بذلك أزواجهن أو ذووهن ، والله تعالى أعلم .

وهنا أمران يثيران الانتباه : لم يكن في مقدور البشر قديماً معرفة ما يحويه ماء الرجل ، فضلاً أن يعلم أنه يحوي نحو نصف مليار حوين ، ذلك لعدم وجود المختبرات والمجاهر (المكرسكوب) ثم كيف عرف أن التلقيح إنما يكون من بعض

---

(١) صحيح مسلم : كتاب النكاح : باب حكم العزل ، رقم (١٣٣).

الماء ـ وهو حيوان واحد ـ والحوين : لا يُرى بالعين المجردة ، لصغره المتناهي . فكيف عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم النبي الأمي ؛ الذي لم يقرأ ولم يكتب ، وما ينبغي له ذلك ؟ إنما هو الوحي ، الذي خصّه الله تعالى به .

٢ ـ إثبات ماء الرجل وماء المرأة :

لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن للمرأة ماءاً كما للرجل ، وفرَّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بين الماءين ، وذكر أوصافَ ماء المرأة بحيث إنها لم تعرف إلا في العصر المتأخر .

فعن ثوبان رضي الله تعالى عنه ـ في قصة سؤال الحبر اليهودي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بعض الأسئلة ، وفيه : قال الحبر : جئتُ أسألك عن الولد ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ماءُ الرجل أبيض ، وماءُ المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ؛ فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا [أي كان الولد ذكراً] بإذن الله ، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا [أي كان الولد أنثى] بإذن الله » قال اليهودي : صدقتَ وإنك لنبيٌّ ، ثم انصرف فذهب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه ، حتى أتاني الله به ». رواه مسلم[١].

وقد ورد نحو ذلك من حديث عائشة وأنس وأم سلمة رضي الله عنهم[٢].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحيض : باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ، رقم (٣٤).

(٢) انظر : صحيح البخاري : كتاب العلم : باب الحياء في العلم ، وكتاب الأنبياء : باب ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، وكتاب مناقب الأنصار : باب (٥١) حدثنا حامد بن عمر . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب وجوب الغُسل على المرأة بخروج المني منها ، رقم (٣٠ – ٣٣).

ففي هذه الأحاديث الشريفة ـ وغيرها ـ أمور علمية ، لم تُعرف إلا في هذا القرن ، أو قبله بقليل ، ومنها :

أ ـ إثبات ماءٍ للرجل ، وآخر للمرأة ، وهذا لم يُعرف إلا مؤخراً ، حيث كانوا يتصورون أن الجنين يُخلق من ماء الرجل لا غير ، خاصة بعد اكتشاف (لوفنهوك) وتلميذه (هام) النطفة ، وكانوا يصورون النطفة على أنها إنسان صغير جدّاً ، ينمو في الرحم ، حتى يبلغ حجمَه المعروف ، دون طروِّ أيِّ تغيير عليه في تركيبه وشكله . واستمر الأمر حتى بعد اكتشاف البويضة ، ولم يحسم الأمر إلا في القرن الماضي ، حيث اكتشف أهمية النطفة والحوين في عملية تخلق الجنين[1] .

ب ـ التفريق بين ماء الرجل وماء المرأة ، والذي لم يعرف إلا مؤخَّراً ، لأن منشأ مائها يكون بانسكاب السائل الجريبي ، الذي يأتي مع البويضة من المبيض ، ويكون لونه أصفر رقيقاً .

جـ ـ الجنين لا يكون إلا بعد معاشرة الرجل للمرأة جنسيّاً ، فهو مخلوق منهما ، خلافاً لما كان سائداً حتى القرن التاسع عشر المسيحي .

د ـ تعيين جنس الجنين لا يكون إلا بغلبة أحد الماءين ، خلافاً لما كان سائداً حتى القرن التاسع عشر المسيحي ـ كما ذكرت ـ ذلك أنهم كانوا يرون أن ما يطرأ على الجنين إنما هو مجرد نمو في الحجم والوزن والشكل ، وأنه من ماء الرجل فقط ، أو من ماء المرأة فقط ـ بعد اكتشاف البويضة ـ ولكنهم اكتشفوا مؤخراً أنه من الرجل والمرأة معاً ، كما نصت عليه هذه الأحاديث .

هـ ـ تحديد الشبه ، ونظام التوارث ، بين الولد وأعمامه ، وبين الولد وأخواله ـ

---

(١) انظر : الطب النبوي والعلم الحديث (٣ : ٣٢٨) وعلم الأجنة في القرآن والسنة (٢١).

كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في آخر هذا الفصل ـ وقد سبق الإسلامُ العلمَ الحديثَ بأكثر من ألف عام في ذلك .

و ـ كل ذلك بأمر الله تعالى وإذنه ، وليس بمجرد اللقاء بين الزوجين ، والله تعالى أعلم .

ز ـ بقي أمر مهم ؛ إن الإنسان ـ في القديم ـ يعرف ماء الرجل ، لأنه يراه ـ وإن كان لا يعلم جزئياته وتحليله ـ ولكنه لا يعلم ماء المرأة ، لأنه لا يرى ، ولم يعرف إلا في العصر المتأخر . فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ؛ وهو النبيّ الأمي ؛ الذي لم يقرأ ولم يكتب ؟ والجواب واضح من قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ، وما لي علمٌ بشيء منه ، حتى أتاني الله به » نعم أتاه الله تعالى به ، مما يدل على مدىٰ عناية الله تعالى بحبيبه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن ما قاله صلى الله عليه وآله وسلَّم هو من الوحي الذي أكرمه الله تعالى وخصه به .

٣ ـ استقرار النطفة الأمشاج في الرحم :

لقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى أن النطفة تكون متحركة ، وأنها لا تكون في الرحم ، ثم تأتيه فتستقر فيه ،...

فعن حذيفة بن أَسيد رضي الله عنه يبلغ به النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يدخل المَلَكُ على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ـ أو خمسة وأربعين ـ ليلةً ، فيقول : يا رب ، أشقيٌّ أم سعيدٌ ؟ فيُكتبان ، فيقول : يا ربِّ ؛ أذكرٌ أم أنثى ؟ فيُكتبان ، ويُكتبُ عملُه وأثره وأجلُه ورزقُه ، ثم تطوىٰ الصحف ، فلا يزداد فيها ولا ينقص ». رواه مسلم[1].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب القدر : باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه ،... رقم (٢).

ففي هذا الحديث الشريف برواياته إشارة إلى خمس حقائق علمية ، هي :
أ ـ كون النطفة لا تكون في الرحم قبل استقرارها فيه .
ب ـ كون النطفة تكون متحركةً قبل استقرارها في الرحم .
جـ ـ استقرار النطفة في الرحم ، لكن لم يُحدِّد الحديث مدة الحركة قبل الاستقرار .
د ـ التخلق المخفي يكون بعد مضي أربعين ليلة ـ أو خمس وأربعين ـ من استقرار النطفة في جدار الرحم .

وأعني بالتخلق المخفي : وضع خارطة للجنين ، وهي أشبه بوضع مخطط للبيت ، ثم يتم تنفيذه فيما بعد ، والله تعالى أعلم .

هـ ـ الإشارة إلى منع دخول أي شيء على النطفة قبل هذه المدة ، وهذا هو الواقع حيث إن الرحم يقفل ـ تقريباً ـ بما يكون فيه من موانع ـ بعد نزول البويضة وانغراسها في جدار الرحم . كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وقد جاء العلم الحديث ليقرر هذه الحقائق العلمية كلها ، والتي لم تُعرف إلا مؤخَّراً[1].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ؟ وهو أمر لا يدرك بالعين المجردة ـ لصغرها ـ ثم هو لا يعرف بالنظر ، لأنه مخفي في الرحم ، وهو ليس في مقدور البشر الاطلاع عليه ، ولا يجتهد فيه ؛ لأنه ليس للعقل فيه مسرح ، إنما هو الوحي الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

٤ ـ اختراق الأسوار لتصوير الجنين ، وحصول التشوه الخِلقي فيه :

لقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى أن النطفة بعد انغراسها في

---

(١) انظر : الطب النبوي والعلم الحديث ، ومع الطب في القرآن الكريم ، ودورة الأرحام ، وخلق الإنسان بين الطب والقرآن .

جدار الرحم تحول دونها موانع من الوصول إليها ؛ تكون في غاية القوة والصلابة ، لذا فإن المَلَكَ إذا أراد تخليقَها بإذن الله تعالى ، فإنه يتصوَّر عليها ، مخترقاً تلك الحواجز ، للوصول إليها ، والله تعالى أعلم .

فعن حذيفة بن أَسيد الغفاريِّ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بأُذنَيَّ هاتين يقول : « إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلةً ، ثم يتصوَّر عليها المَلَكُ ، فيقول : يا ربّ ؛ أذكرٌ أو أنثى ؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى . ثم يقول : يا ربِّ ؛ أسويٌّ أو غيرُ سويٍّ ؟ فيجعله الله سويّاً أو غيرَ سويٍّ . ثم يقول : يا ربِّ ؛ ما رزقه ؟ ما أجله ؟ ما خُلُقُه ؟ ثم يجعله شقيّاً أو سعيداً ». رواه مسلم[1].

في هذا الحديث الشريف عدة أمور علمية دقيقة ، لم تُعرف إلا في هذا العصر ، أقتصر على ذكر بعضها .

أولاً : قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ثم يتصوَّر عليها المَلَك » التصوُّر : هو النزول من الأعلى ، يقال : تصوَّر الدار ، وتسوَّر الجدار ، أي نزل من أعلاه .

إن البويضةَ بعد تلقيحها في الثلث الأعلى من القناة الرحمية ، والمعروفة بـ (قناة فالوب) تنتقل منها إلى أعلى الرحم ، فتغرس الخلايا المغذيةُ المحيطةُ بها استطالاتِها في مخاطية الرحم - وهي مرحلة العلوق - ثم تبدأ هذه الخلية بالانقسام والتخلق ، فتصير علقة ، ثم مضغة ، ثم يتكوّن الغشاء المشيمي ، الذي يتكون من ثلاث طبقات[2] فإذا أضيف إلى هذه الأغشية جدارُ المشيمة وجدارُ الرحم : صارت بمثابة الجدُر المحيطة بالنطفة ، والأسوار القوية المنيعة الحامية لها بإذن الله تعالى ، التي تمنع من وصول أي شيء إلى النطفة .

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤).

(٢) انظر : الوجيز في علم الأجنة ، وخلق الإنسان (٢٠١ – وما بعد) وعامة كتب الأجنة .

يضاف إلى ذلك أيضاً : أن الغدةَ النخاميةَ بإصدارها الأوامر لحدوث :

أ ـ ما يحيط بالنطفة من الأغشية السابقة التي تمنع وصول أي شيء إليها ، وتكون جدرانها قوية صلبة .

ب ـ ما يحيط بالنطفة من دماء سميكة وسوائل تمنع وصول أي حيوان أو غيره إليها أيضاً .

جـ ـ إن عنق الرحم يكون ـ في أثناء نزول البويضة من مبيضها ـ واسعاً ، ليسمح بولوج ملايين النطف من المهبل إلى القناة ، فإذا لقحت وانتقلت إلى الرحم وعلقت بجداره ؛ فإن عنق الرحم يضيق جدّاً ، بحيث لا يسمح بدخول إلا النادر من النطف .

د ـ إن السائل الجريبي الذي يكون عند مرحلة الإخصاب كثيراً ورقيقاً جدّاً ؛ ليسهل انتقال النطف إلى القناة الرحمية بسهولة ؛ فإنه بعد العلوق يصبح سميكاً جدّاً جدّاً ، بحيث لا يسمح بدخول النطف ، فيكون كالسدّادة التي تمنع دخول أي شيء ، وإن كان العنق ليس مغلقاً حقيقة ، بل هو متضيق جدّاً جدّاً ، كما أخبرني الأستاذ الدكتور جمال مرسي ، أستاذ واستشاري أمراض النساء والولادة .

ومع هذا فإن المَلَكَ يتسوَّر هذه الجدران ، ويتجاوز هذه الأسوار السميكة المانعة الحارسة ـ التي جعلها الله تعالى حفاظاً على هذا الجنين الذي لا يملك ما يدافع به عن نفسه ـ ليصوِّر الجنين ، ويخلق الله تعالى على يديه ما يشاء .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الملكَ يكتب خارطة الجنين في هذه المدة ، وهو لم يعرف في العصر المتأخر ؟ إنما هو الوحي الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ثانياً : في هذا الحديث دلالة على أن التشوه الخِلقي لا يكون قبل الأربعين من التلقيح ـ التي هي فترة تنامي الجنين ـ وإنما يكون بعدها ، وذلك في الفترة التي يكتب فيها المَلَكُ جنسَ الجنين وعمرَه ورزقَه وخُلقَه ،...إلخ.

قال الدكتور محمود ناظم نسيمي رحمه الله تعالى[1] : لقد اكتشف أن هناك أوقاتاً خاصة من تنامي الجنين تكون فيها التشوهات محرَّضةً بعوامل خارجية ، وأن هناك فترات خاصة ـ محددة بدقة ـ بالنسبة للتشوهات النوعية المختلفة :

ففي الدور المبكر ـ من التكاثر الخلوي ـ يصعب أن تثير أيُّ عوامل حدوثَ التشوهات ، وإذا ما قُدِّر وأصيبت المضغةُ بعاملٍ ماسخٍ لها ؛ فربما تهلك . أما إذا نجت من أثر ذلك العامل ؛ فإنها تتنامىٰ مخلوقاً سويّاً باستبدال الخلايا المتأذية .

وكذلك في المراحل المتأخرة من التنامي ؛ إذ يصعب أيضاً ، ويندر أن تنشأ تشوهات ، لأن العمليات المؤدية لنشأة الأعضاء تكون قد قطعت شوطاً بعيداً ، وكادت أن تستكمل تماماً .

وبالنسبة للبشر : يفترض أن الفترة الحرجةَ أو الحسّاسة تمتد من الأسبوع الرابع للحمل وحتى الأسبوع السابع ، وإن كانت التشوهات ممكنةَ الحدوث حتى في الشهر الثالث ، ولكن بنسبة أقل بكثير .

فمصير الجنين ـ من حيث السواء ، أو التشوه ـ يتحدد في الأسبوع السابع من التنامي بشكل عام.اهـ.

قلت : إن حصل التشوه قبل الأربعين فله حالتان : إما أن تُستبدل الخلايا التي شوِّهت بأخرى سليمة ، ويزول التشوه بإذن الله تعالى ، وإما أن يسقط

(١) الطب النبوي والعلم الحديث (٣ : ٣٤٤) وأخذه عن النشأة الأولى .

الجنين ، إذا كان التشوه كاملا . وأما في المراحل المتأخرة من الحمل فيندر وقوع التشوه ، لأن الجنين قد اكتملت صورته وأعضاؤه ، وإن كان التشوه ممكناً كما هو الحال في الإنسان بعد ولادته وكِبره .

إنما يتحدد مصير الجنين في فترة سؤال المَلَك ، فإن كان الله تعالى قد قدَّر أن يكون مشوَّهاً كتبه الملك وكان كذلك ، وبقي حتى يخرج إلى الدنيا وهو كذلك ، وإن قدَّر تعالى أنه سليم كتبه الملك كذلك ، وبقي كذلك حتى يخرج إلى الدنيا وهو كذلك ، والله تعالى أعلم .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن التشوه في الجنين إنما يكون في هذه المرحلة ، والتي لم تعرف علميّاً إلا في العصر الحاضر ؟ إنما هو الوحي ، لأن ذلك ليس فيه مجال للاجتهاد ، ولا للعقل فيه مسرح ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ الكتابة في جبين الجنين :

لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الجنينَ يُكتبُ على جبهته ما هو لاقيه في حياته كلها ؛ من أمور كبيرة أو صغيرة ، حتى النكبة يُنْكبها .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إذا أراد الله أن يخلق نَسمةً قال ملَكُ الأرحام ـ مُعرِضاً ـ أي ربِّ ؛ أذكرٌ أم أنثى ؟ فيقول ، فيقضي الله أمرَه ، ثم يقول : أي ربِّ ؛ أشقيٌّ أم سعيد ؟ فيقضي الله أمرَه ، ثم يَكتبُ بين عينيه ما هو لاقٍ ، حتى النكبةَ يُنْكَبُها ». رواه عبد الرزاق وابن حبان وأبو يعلى والبزار والآجري وابن أبي عاصم في آخرين[1]

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١١ : ١١٢) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٥٤) ومسند أبي يعلى (١٠ : ١٥٤ – ١٥٥) وكشف الأستار (٣ : ٢٣) والشريعة (٢ : ٧٨٢ – ٧٨٣) والسنة (١ : ١٤٨ – ١٤٩ من طرق) ومجمع الزوائد (٧ : ١٩٣).

وإسناد أغلبهم صحيح ، وروىٰ الشيخان نحوه من حديث أنس رضي الله تعالى عنه .

فجاء العلم الحديث ليكشف لنا هذه الحقيقةَ العلميةَ المذهلة ، التي نص عليها الحديث ، ولكن لم تُعرف إلا في العصر الحديث .

قال علماء الأجنة : إذا بلغ الجنينُ أربعةَ أشهر يُكتب على جبهته ؛ حتى كأن وجهه وجه فيلسوف ، إنها شعيرات مرسومة بمهارة فائقة .

وقد رأيت صورة لجنين وهي في غاية الدقة والوضوح ، وتكاد تكون الحروف بارزة ، وكأن وجهه وجه فيلسوف كبير .

والغريب أنه لا يوجد اثنان على وجه الأرض تتشابه فيهم هذه الكتابة ، حتى لو كانا توأمين ، ثم تختفي تلك الكتابة تحت طبقة دهنية كثيفة ، تغطي جلد الجنين ، وتُخفي عن أعين المتلصصين تلك الكتابة الفذة الرائعة[1].

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ؟ ومثل هذا لم يعرف إلا في العصر الحاضر ؟ إنما هو الوحي الذي خصه الله تعالى به .

٦ ـ في جسم الإنسان (٣٦٠) مفصلاً :

لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن في جسم الإنسان (٣٦٠) مفصلاً ، لذا عليه أن يقدِّم كل يوم ما لا يقل عن هذا العدد من الحسنات .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إنه خُلق كلُّ إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مَفصِلٍ ،... » الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

---

(١) انظر : خلق الإنسان بين الطب والقرآن .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، رقم (٥٤).

وقد ورد من حديث غيرها ، كما ذكرته في الكتابين المذكورين .

لقد شغلني هذا الحديث سنين طويلة ، وتعبت في الوصول إلى حقيقته ، واتصلت بجهات كثيرة ، حتى منَّ الله تعالى عليَّ فأراحني ، بعد إنشاء كلية الطب في فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ، فطلبت من أعضاء قسم التشريح أن يجمعوا لي من المصادر الأجنبية عددَ المفاصل ـ سواء الثابتة أو المتحركة ، والتي بين عظمين أو بين عظم وغضروف ـ وبعد ما يقرب من شهرين ـ وبعد المراجعة المتواصلة ـ توصلوا إلى النتيجة المذهلة التي لم يكترثوا بها عندما طلبت منهم ابتداء ، فلما أخبرتهم بالسبب فرحوا جدّاً ، وكانت النتيجة هي (٣٦٠) مفصلاً ـ لا تزيد ولا تنقص ـ كما جاء في الحديث ، ومن أراد معرفة تفاصيلها فلينظر في الكتابين المذكورين ، لأني أذكرها هنا على الإجمال وهي :

مجموع مفاصل الأطراف العلوية (٦٤) مفصلاً ، ومفاصل الأطراف السفلية (٦٢) مفصلاً ، ومفاصل العمود الفقري (٧٦) مفصلاً ، ومفاصل القفص الصدري (٦٦) مفصلاً ، ومفاصل الجمجمة (٨٦) مفصلاً ، ومفاصل الحنجرة (٦) مفاصل ، فيكون مجموع ما في جسم الإنسان = ٦٤ + ٦٢ + ٧٦ + ٦٦ + ٨٦ + ٦ = ٣٦٠ مفصلاً .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ؟ وهذا أمر لا يمكن إدراكه في العصور الماضية ، وقد أتعبتُ قسمَ التشريح حتى تمكّنوا من عدّها ، ولكن أقول : إنه الوحي الذي أكرم الله تعالى به نبيَّه وصفيَّه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وجعله متميزاً به عن سائر الأنبياء عليهم السلام ، وأنه لا ينطق عن الهوىٰ .

فصلى الله وسلَّم على هذا النبي المصطفى الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

٧ ـ الفرق بين دم الحيض ودم الاستحاضة :

لقد فرَّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بين دم الحيض ودم الاستحاضة ـ مع أنهم ما كانوا يفعلون ذلك ـ حيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن دم الاستحاضة هو دم عِرق ـ نزيف ـ بينما دم الحيض فهذا شيء كتبه الله تعالى على بنات حواء ،... وقد بين الفقهاء ـ من الصحابة فمن بعدهم ـ ذلك .

وجاء العلمُ الحديث ، ليكتشف صحة ذلك ، ويجد أن الدمين يختلفان من حيث المنشأ واللون والرائحة والمدة والحكم والفترة بين الدمين والنظام والنتيجة ،...إلخ. وكل ذلك كما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

والأحاديث في الفرق بين الدمين والحالتين كثيرة ، أقتصر على ذكر حديث واحد في بيان الاستحاضة .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت فاطمة بت أبي حُبيش إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فقالت : يا رسول الله ؛ إني امرأة أُستحاض فلا أطهر ، أفأدع الصلاةَ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا ، إنما ذلك عِرقٌ ، وليس بحيضٍ ، فإذا أقبلت حيضتُك فدعي الصلاةَ ، وإذا أدبرت [فإذا ذهب قدرها] فاغسلي عنك الدم [فاغتسلي] ثم صلي ». متفق عليه[١].

وقد ورد عندهما عن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها أيضاً .

وأما الأحاديث في الحيض فانظرها في الأصل .

أما الحيض فيمتاز بالأمور التالية :

ـ إن دم الحيض ينتج عن تساقط الغشاء المبطن للرحم المتموت ، ويتوقف

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب غسل الدم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب المستحاضة وغسلها وصلاتها ، رقم (٦٢ – ٦٣).

هذا الدم عندما يكتمل ترمم الغشاء المبطن الجديد للرحم ، استعداداً للدورة الشهرية الجديدة التالية .

ـ لون دم الحيض أحمر غامق لا يتخثّر ، وقد تُرىٰ فيه قطع صغيرة داكنة في الأيام الأولى للحيض ، وهي بطانة الرحم المتموتة .

ـ هذا الدم يكون غزيراً في الأيام الأولى ، ويخف تدريجيّاً ، ويميل لونه للبني والاصفرار قبل أن ينقطع .

ـ ترافقه ـ غالباً ـ آلام العادة الشهرية في الأيام الأولى ، وبعض النساء يُمَيِّزنه من رائحته الخاصة .

ـ وعندما يكون غزيراً جدّاً ـ بشكل نزيف ـ فإنه يَميل إلى الأحمر القاني (بسبب ضخامةٍ أو تليُّفٍ في الرحم) وهذه حالة مرضية عندها يترافق بوجود خثرات دمٍ صغيرة أو كبيرة حسب الشدة .

ـ إن مدة الحيض عادة تكون (من ٥ ـ ٧ أيام) لكنها قد تقل إلى يومين ، أو تزيد إلى (٨) أيام ، وقد تزيد أكثر ، وتعتمد مدةُ الحيض على طول فترة ترمم الغشاء المبطن للرحم زيادةً أو نقصاناً .

ـ تكون الدورة الشهرية عند (١٥ ٪) من النساء (من ٢٨ ـ ٣٠) يوماً .

ـ تعتبر الدورة طبيعيةً إذا كانت المدة بين الحيضتين (من ٢١ـ ٣٥) يوماً .

أما دم الاستحاضة فيمتاز بما يلي :

ـ يختلف لونه عن دم الحيض ، يكون لونه مائلاً إلى الاحمرار القاني .

ـ أنه ناتج عن تمزق الأوعية الدموية ـ فهو دم عِرْق ـ (لحمية ، ورم ، تسمُّك في بطانة الرحم).

ـ وغالباً إذا كان غزيراً ترافقه خثرات دموية .

ـ قد يشبه دمَ الحيض عند زيادة مدة الحيض عن (٨ ـ ١٠) أيام ، في حالات اضطراب الدورة الشهرية .

ـ ليس له طبيعة منتظمة مثل الدورة الشهرية ، فقد يحدث خارج الدورة ، وقد يلي حدوث الدورة مباشرة .

ـ ليس له مدة ثابتة ، فقد تطول مدته إلى أشهر بل أكثر ، وقد تقل .

ـ لا ترافقه آلام كآلام الدورة الشهرية ، والله تعالى أعلم[١] .

٨ ـ الحجامة خير علاج :

لقد حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على الحجامة ، وبيَّن فضلَها وأهميتها ، وأنها أحد عناصر الشفاء ومصادره ، كما حدَّد صلى الله عليه وآله وسلَّم الموضع المثاليَّ للحجامة من الجسم (وهو الكاهل) كما بيَّن صلى الله عليه وآله وسلَّم خطورةَ بقاء الدم الفاسد في الجسد ،...إلخ، وقد استعملها صلى الله عليه وآله وسلَّم بنفسه ، ولهذا وردت أحاديث كثيرة تبيِّن فضلها وأهميتها ، أقتصر على ذكر بعضها .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « الشفاء في ثلاثة ؛ في شَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، أو شربةِ عسلٍ ، أو كيةٍ بنار ، وأنهىٰ

---

(١) هذا ما كتبه لي عدد من الاستشاريين في أمراض النساء والولادة ـ جزاهم الله تعالى خيراً ـ منهم الأخوة : الدكتور عبد الرحمٰن أحمدو ، والدكتور السيد نبيل عبد الله هاشم يماني ـ مدير مستشفى النساء والولادة والأطفال في المدينة المنورة ـ وزادني قوله ـ بعد أن أعطيته ما كتبتُ ـ : هذا الموضوع نوقش في الملتقى الطبي والفقهي ، المنعقد في مدينة جدة ، من يوم السبت إلى يوم الثلاثاء (٥ ـ ٨ / ٥ / ١٤٢٤هـ) وقد أجمع على نفس الكلام أغلب أطباء النساء والتوليد وأغلب الفقهاء ، وكذلك هذا رأيي فيه.اهـ.

عن الكي ». رواه البخاري[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن كان في شيءٍ من أدويتكم خيرٌ ـ وعند البخاري : شفاء ـ ففي شَرْطَةِ مِحجمٍ ، أو شَربةِ عسل ، أو لذعةٍ بنار ، وما أحبُّ أن أكتوي ». متفق عليه[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال : احتجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حجمه أبو طيبة ، وأعطاه صاعين من طعام ، وكلَّم مواليه فخفَّفوا عنه ، وقال : « إن أمثل ما تداويتم به : الحجامةُ ، والقسط البحري ،... » الحديث ، متفق عليه[3].

وقد ورد بنحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وعنه رضي الله عنه قال : احتجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ثلاثاً ؛ اثنتين على الأخدعين ، وعلى الكاهل واحدة . رواه ابن أبي شيبة والطيالسي وأحمد وأبو داود والترمذي ـ وحسنه ـ وابن ماجه وتمام في فوائده والبيهقي ، وصححه ابنُ حبان والحاكم وأقره الذهبي[4]. وله شواهد من حديث ابن عباس وجابر رضي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب الشفاء في ثلاث .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب الدواء بالعسل ، وباب الحجامة من الشقيقة والصداع ،... وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب لكل داء دواء ، واستحباب التداوي ، رقم (٧١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب في الحجامة من الداء . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب حل أجر الحجامة ، رقم (٦٢ ، ٦٣).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٨ ـ القسم الأول ـ ٢٦) مسند الطيالسي (٢٦٧ رقم ١٩٩٤) ومسند أحمد (٣ : ١١٩ ، ١٩٢) والطبقات الكبرى (١ : ٤٤٦) وسنن أبي داود : كتاب الطب : باب في موضع الحجامة ، رقم (٣٨٦٠) وسنن الترمذي : كتاب الطب : باب ما جاء في الحجامة ، رقم (٢٠٥١) والشمائل المحمدية =

الله تعالى عنهم .

والمراد بالأخدعين : جانبا الرقبة من الخلف .

أما الكاهل : فهو نهاية عظم اللوح من جانب العمود الفقري تقريباً .

وقد احتجم الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهم بعد ذلك ، كما درج المسلمون على الحجامة إلى زماننا ، وأذكر عندما كنت في بلاد الشام ـ قبل (٤٥ سنة) ـ كنت أذهب مع مجموعة من أهل العلم إلى قرية بجوار دمشق لرجل مختص ، ونحتجم كلَّ عام .

وتخصيص الكاهل بالذات ؛ لأنه يعتبر المنطقة المثلى لإجراء العملية ، وتنحصر غالب الفوائد العظمى فيها ، وذلك :

أ ـ لأنها منطقة تجمع الكريات الحمراء العاجزة والهرمة والتالفة ، والشوائب الدموية عامة ، والجزيئات الكبيرة ذات الوزن الجزيئي المرتفع ، حيث تَقيل هذه الشوائب في هذه المنطقة أثناء النوم .

ب ـ لأنها منطقة مأمونة ، حتى لو كان المرء يعاني من أمراض السكري أو الناعور .

جـ ـ إن التشطيبات السطحية التي تجري في هذه المنطقة أثناء الحجامة سريعةُ الشفاء بإذن الله تعالى .

د ـ إن هذه المنطقة خالية من أية أوعية دموية يكون جرحها خطيراً ، والله تعالى أعلم .

= له (رقم ٣٦٥) وسنن ابن ماجه : كتاب الطب : باب موضع الحجامة ، رقم (٣٤٨٣) والفوائد لتمام (١ : ٤٦ رقم ٩٠) وشرح السنة (١٢ : ١٤٩) ومسند أبي يعلى (٥ : ٣٨٧) والمستدرك (٤ : ٢١٠) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٤٤١ – ٤٤٢) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٣٤٠).

وقد جاء العلمُ الحديث ليكشف لنا الحقيقة الحاضرة الغائبة، عن فوائد الحجامة واستعمالاتها .

فقد قام فريق من كبار أساتذة كليتي الطب والصيدلة بجامعة دمشق، مع عدد من رؤساء الأقسام في مشافي دمشق، وعلى مدىٰ ثلاث سنوات بإجراء الحجامة على عدد كبير من المرضىٰ، ومن مختلف أنواع الأمراض، وخلق الله تعالى النفعَ لعامة المرضىٰ، مع أن كثيراً منهم كانت أمراضُهم خطرة، ويصعب وجود الشفاء في الأدوية المتداولة بين الأطباء، وقد تم جمعُ هذه التقارير، وطبعت في كتاب، بعنوان (معجزة القرن العشرين، الدواء العجيب) وهو في (٤٧٨) صفحة، عدا الفهارس والمصادر، وقد حوىٰ من صفحة (٢٥ ـ ٥٤) نبذاً من كلام الأطباء على الانفراد، خاصة من الذين احتجموا منهم، ومن صفحة (٥٥ ـ ٣٣٣) ذكر الأمراض التي عولجت بالحجامة، ومن صفحة (٣٣٣ ـ ٤٧٨) التقارير العلمية على المرضىٰ .

وقد قرأت الكتاب مرتين، وقد لخصته، وذكرتُ المختصرَ في الأصل، ولولا خشية الإطالة لذكرته هنا، لذا فمن أراد الاطلاع على المختصر فعليه بالأصل، ومن أراد الاطلاع على البحث كاملاً فلينظر في الكتاب المذكور .

وأذكر مختصراً لبعض فقراته .

الأمراض التي عولجت بالحجامة، وتم شفاؤها بإذن الله تعالى .

إن الأمراض التي عالجها الفريق الطبي كثيرة، ألخصها بما يلي :

ـ تضخمات الطحال، وظائف الكبد، والمعدة، الجملة العصبية، الصداع، الشقيقة، الكليتين، ارتفاع الضغط والحملة الوعائية، أمراض القلب، مرض السكري، الاستقلاب الخلوي، الأنسجة المريضة والآلام العضلية المفصلية،

أمراض الدم ، الجهاز المناعي ، حمض البول ، الخلل الوظيفي الجنسي (الضعف الجنسي) وبعض حالات العقم ، العين ، أمراض الأنف والأذن والحنجرة ، أمراض الجهاز التنفسي ، الروماتيزم ، والحمىٰ الروماتيزمية ، ثم الحجامة تتصدىٰ ـ ولله الحمد ـ لمرض العصر الفتاك (السرطان) والإيدز ، والعياذ بالله تعالى .

وقد أجرت اللجنة برئاسة الأستاذ الدكتور محمد نبيل شريف ؛ عميد كلية الصيدلة سابقاً ، الحجامة على (٣٠٠) حالة ، عام (٢٠٠٠ م) وأصدرت تقريرها العام ، وقد ذكرته في الأصل كاملاً ، كما أجرت الحجامة على غيرهم عام (٢٠٠١ م) وانظر التقارير التي أجراها الأطباء المذكورون ، سواء المفردة أو العامة ، على مدىٰ الأعوام الثلاثة .

وخلاصة التقارير أن نسبة النجاح ـ في جميع الأمراض ـ كانت تتراوح ما بين (٥٠ ٪ إلى ١٠٠ ٪) وأغلبها مما تجاوز (٨٠ ٪).

نعم إنها معجزة نبوية لم تنكشف حقائقها إلا في العصر الحاضر ، وإن كان عامة المسلمين يحتجمون ، فإنما هو الاتباع ، ومن ناحية أخرى لما يرونه من الفوائد ، لكن ليس بالصورة التي رأيناها في هذا التقرير وغيره . وصلى الله وسلَّم على الحبيب المحبوب الحريص على أمته أكثر من حرصها على أنفسها .

٩ ـ الحجر الصحي :

لقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بوجوب عدم الدخول على بلد فيه وباء محجري معدٍ ، كما أمر صلى الله عليه وآله وسلَّم من كان داخل البلد الذي فيه الوباء بعدم الخروج منه ، فجاء العلمُ الحديث ليكشف لنا هذه الحقيقة ، وليؤكد لنا ما نطق به الحديث .

فعن أسامةَ بن زيد رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه ». متفق عليه[1].

ذلك أن من كان في البلد الذي وقع فيه الوباء ؛ فإما أن يصاب فيموت ـ وهم قلة جدّاً ـ وإما أن يكون جهاز المناعة عنده مقاوماً لذلك الوباء فلا يتأثر . أما إذا خرج من البلد ؛ فإنه يخرج وهو يحمل معه جرثومة ذلك المرض الذي يحمله .

وكذلك إذا دخل فقد يوافق القدر الإلٰهي فيُصاب ، فيظن أن الإصابة إنما هي بفعل الدخول والعدوىٰ ، والمرض لا يصيب بذاته ، إنما بموافقة القدر ، والله تعالى أعلم .

سئل الدكتور (جون لارسن) من قِبل هيئة الإعجاز العلمي[2] : إذا كنتَ حاكماً على مدينة ، وأُصيبت تلك المدينة بمرض وبائي خطير ؛ أو ما يُسمى بالطاعون ؛ فماذا تفعل يا دكتور ؟

قال : سآتي بالجنود ، وأضرب حصاراً على المدينة ؛ لمنع الدخول إليها ، والخروج منها .

قيل له : أمّا أن تمنع الدخول فقد علمناه ، ولكن لماذا تمنع الخروج منها ؟

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب ما يذكر في الطاعون . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ، رقم (٩٢ – ٩٧).

وقد روياه من حديث عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله تعالى عنه ، في الكتابين والبابين السابقين . كما ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

(٢) مجلة الإعجاز العلمي (العدد الرابع).

قال : لأن الدراسات في الفترة المتأخرة كشفت لنا أنه عندما يكون الطاعون منتشراً في مدينة من المدن ، أو منطقة من المناطق ؛ فإن عدد الذين تظهر عليهم أعراض المرض تتراوح نسبتهم (ما بين ١٠ ـ ٣٠ ٪)

قيل له : والباقون من سكان المدينة ما بالهم ؟

قال : هؤلاء الباقون يحملون الجرثومة في أجسادهم ، لكن جهاز المناعة عندهم يتغلب على الجراثيم ، فتبقى في الجسم ، ولكنها لا تضره ، فإذا بقي هذا الصحيح في البلدة التي فيها الطاعون فلا خوف عليه ، لأنه ملقَّحٌ ، ولأن عنده مقاومة من جهاز المناعة تدفع عنه المرض .

أما لو خرج من هذه المدينة ـ أو البلدة ـ فإنه يخرج حاملاً لهذه الجرثومة ، فينقل ذلك المرض إلى مدينة جديدة ، وقد ينشأ عن ذلك هلاك الملايين من البشر ، بسبب خروج هذا المصاب...

قيل : إلى متى يستمر هذا الحصار المضروب على هذه المدينة ؟

قال : إلى وقت يسير ، حتى يتغير سلوك الجرثومة ، بإضافة خاصية وراثية جديدة ، حتى تذهب فيها خاصية العدوىٰ التي تنتشر ، وتنقل المرض إلى الآخرين.اهـ.

إذا كان الإنسان يدرك خطورة الدخول على البلد الموبوء ، فكيف يدرك خطورةَ الخروج منه ـ مع أنه هروب من الوباء ؟ ـ هذا هو الإعجاز الأهم ، فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ؟ إنه الوحي الذي خصه الله تعالى به .

١٠ ـ النهي عن اقتناء الكلاب ، وإباحة اقتناء القطط :

لقد نهىٰ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عن اقتناء الكلاب ،

وبيَّن أن من اقتناها نقص من أجره كلَّ يوم قيراطان ، وأمر بقتلها ، وأوجب غسل الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب ،... وكل ذلك في الصحيحين[1].

وهناك أحاديث أخرى ذكرتها في الكتابين المذكورين .

بينما أباح صلى الله عليه وآله وسلَّم اقتناء القط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنها ليست بنجس ، إنها من الطوافين عليكم أو الطوافات ». رواه كثيرون ، وصحَّحه مالك والبخاري والترمذي وابن خزيمة والحاكم وابن حبان والدارقطني والعقيلي والبيهقي والنووي[2].

ففي هذه الأحاديث النهي عن اقتناء الكلب ـ مع شدة الحاجة إليه في ذلك

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم ، وكتاب بدء الخلق : باب إذا ولغ الكلب في شراب أحدكم ، وكتاب الذبائح والصيد : باب من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد أو ماشية . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب حكم ولوغ الكلب ، رقم (٨٩ – ٩٢) وكتاب المساقاة : باب الأمر بقتل الكتاب وبيان نسخه ، رقم (٤٤ ، ٥٠ – ٥٦) وانظر الكتابين المذكورين لبيان الأحاديث الأخرى .

(٢) الموطأ : كتاب الطهارة : باب الطهور للوضوء (١ : ٢٢ – ٢٣) والأم (١ : ٦ – ٧) (٧ : ١٧٨) والمسند رقم (١٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١ : ٣٢ ، ٣١) ومصنف عبد الرزاق (١ : ١٠٠ ، ١٠١) ومسند الحميدي (١ : ٢٠٥ – ٢٠٦) ومسند أحمد (٥ : ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩) وسنن أبي داود : كتاب الطهارة : باب سؤر الهرة ، رقم (٧٥) وسنن الترمذي : كتاب الطهارة : باب ما جاء في سؤر الهرة ، رقم (٩٢) وسنن النسائي : كتابي الطهارة والمياه : باب سؤر الهرة (١ : ٥٥ ، ١٧٨) والسنن الكبرى له (١ : ٧٦) وسنن ابن ماجه : كتاب الطهارة : باب الوضوء بسؤر الهرة والرخصة في ذلك ، رقم (٣٦٧) وسنن الدارمي (١ : ١٥٣) وشرح معاني الآثار (١ : ١٨ ، ١٩) والمنتقى لابن الجارود (٣٠ رقم ٦٠) وسنن الدارقطني (١ : ٧٠) والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ٢٤٥) وشرح السنة (٢ : ٦٩) والمستدرك (١ : ١٦٠) وأقره الذهبي ، وصحيح ابن خزيمة (١ : ٥٥) وصحيح ابن حبان (٤ : ١١٤ – ١١٥) وانظر المجموع (١ : ٢١٥ ، ١٦٦ ، ٢١٦) ونصب الراية (١ : ١٣٦ – ١٣٧) والتلخيص الحبير (١ : ٤١ – ٤٢).

الوقت خاصة في البادية ـ وإباحة اقتناء القط ، مع أنهما من فصيلتين متقاربتين ، ولا أطيل الكلام في بيان خطورة اقتناء الكلب ، بل اقتصر على قول واحد من كبار علماء الغرب ، وهو (الدكتور جون لارسن)[1] وهو كبير أطباء المستشفى الرسمي في (كوبنهاجن) حيث قال جواباً عن سؤال حول الكلب والقط ، فقال :

الكلب يحمل الكثير من الأمراض المعدية ، فهو يحمل ما يقارب خمسين مرضاً طفيليّاً ، وكثير منها في لعابه .

ويُعد القطُّ من أطهر الحيوانات من الناحية الطبية ، فهو لا يحمل من الجراثيم والميكروبات إلا ما يسبب مرضاً واحداً فقط ، إنه مرض إذا أصيب به شخص أصيب بالعمى ، يوجد هذا المرض في براز القط ، فإذا أكل حيوان آخرُ هذا البرازَ انتقل هذا المرضُ إلى جسم هذا الحيوان ، وعندما يذبح هذا الحيوان ويؤكل لحمُه ؛ ينتقل المرض بدوره إلى الإنسان فيصاب به.اهـ.

قلت : لهذا نهىٰ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عن أكلِ لحم الجلّالَة ، وشُربِ لبنِها ، وانظر الأصل .

ثم سبحان من ألهم القطَّ بدفن برازه ، حتى لا يأكله حيوان آخر ، فكأنه يرفع التبعة عن نفسه بدفنه . فسبحان الملهم المدبِّر .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم التفريقَ بين هذين الحيوانين ؟ وبيان خطورة الكلب ـ وخاصة لعابه ـ ثم غسلَ ما ولغ فيه سبعَ مرات إحداهن بالتراب ؟ إنما هو الوحي الذي أكرم الله تعالى به حبيبه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

---

(١) انظر : مجلة الإعجاز العلمي (العدد الرابع).

١١ ـ الذباب يحمل الجراثيم ومبيداتها :

لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الذبابَ يحمل الداء (الجراثيم) والدواء له (عنصر الشفاء) وذلك قبل اكتشاف المجاهر العلمية ، والأجهزة المخبرية ، فجاء العلم الحديث ليقرر هاتين الحقيقتين ، ويكشف عما ذكره الحديث الشريف .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ، ثم ليطرحه ، فإن في أحد جناحيه شفاء ، وفي الآخر داء ». رواه البخاري[1].

وقد ورد نحو هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وذكرت ذلك في الكتاب المذكور .

لقد بحثتُ هذا الحديث بشكل مفصل ، من النواحي الحديثية والفقهية والطبية ، في (الإصابة في صحة حديث الذبابة) لذا لن أطيل القول فيه ، لكن أقول : إن هذا الحديث النبوي الشريفَ يشير إلى معجزتين كريمتين ، جاءت الأبحاث العلمية بإظهارهما :

أولاهما : إثباته أن الذباب يحمل عنصر المرض وهو الداء ، وقد ظهرت هذه بشكل متيقن ، ويعلمها كثير من الناس .

ثانيهما : أن الذباب يحمل عنصر الشفاء ، وهو الدواء ، وقد ظهرت هذه بشكل واضح وجلي أيضاً .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب إذا وقع الذباب في الإناء ، وفي غيرهما . وانظر الإصابة ، لبيان طرق الحديث ورواياته .

ـ كما يشير إلى معجزة علمية مهمة ثالثة ـ لا تقل عن سابقتيها ـ وهي وجود الأمصال ـ وهي التطعيم ضد الأمراض ـ لأن غمس الذباب ـ بما يحمل من مضادات حيوية ـ كاف للقضاء على ما يحمله من جراثيم .

وقد قام العلماء بإجراء التجارب العلمية على الذباب ، واكتشفوا وجود (المضاد الحيوي) القاضي على الجراثيم التي يحملها ، وأنه من أقوى المضادات الحيوية .

كما جاءت البحوث منذ الحرب العالمية الثانية بالإشارة إلى هذه الحقيقة العلمية .

وقد كان علماؤنا القدامى قد أشاروا إلى أمور طبية هي في غاية الأهمية ، وقد ضمنتُ ذلك كله في الكتاب المذكور .

وقد أُجريت تجاربُ كثيرةٌ في جامعة الملك عبد العزيز بجدة . وذكرتها في الكتاب المذكور ، كما ذكرتُ تقاريرَ أخرى من غيرها :

وخلاصة البحث فيها : أن الذباب إذا أُغمس في اللبَنِ أو الطعامِ أو الشراب ،... فإن الجراثيم التي تسقطُ منه في الإناء ،... لا تقف عند حدها ، بل تبدأ تتناقص حتى تنتهي ، بينما إذا وقف الذبابُ ثم طار ، فإن الجراثيمَ التي تسقط منه ـ وتخالط الماءَ أو الشرابَ ـ تبدأ بالزيادة والانتشار ، وهكذا .

ولو كان الأمر عادياً لكان الأمر على العكس ، لأن بانغماس الذبابِ تكون الجراثيمُ الساقطةُ أكثرَ بكثير منها في حال وقوفه ثم طيرانه ، لأن الذي يصيب الماءَ أو اللبنَ في حال وقوف الذباب عليه ثم طيرانه : هو خرطومه وأطراف رجليه ، بخلاف غمسه فيه ، حيث إن كلَّ جسده ينغمس فيه ، وتكون نسبة الجراثيم الساقطة أكثر بكثير ، ومع هذا نرى العكس ، وهو القضاء على الجراثيم في حال غمسه ،

بينما تزيد في حال وقوفه ثم طيرانه[1] ، والله تعالى أعلم .

فمن أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بوجود العنصرين : عنصر المرض ، وعنصر الشفاء ، ولا مجاهر ولا مختبرات آنذاك ، وهو ـ بأبي هو وأمي صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ أمي لا يقرأ ولا يكتب ؟ إنه الوحي الذي خصه الله تعالى به ، وجعله لا ينطق عن الهوىٰ ، فصلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

١٢ ـ قانون التوارث :

لم يعلم الناس بنظام التوارث والتشابه بين الأحفاد والأجداد : إلا بعد ما قرر (مندل) قانونه ، وصار الناس يتداولونه ، ولا يدرون أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم قد سبق إلى هذه الحقيقة العلمية ـ بما أوحاه الله تعالى إليه ـ قبل مئات السنين .

فعن عائشة رضي الله عنها ، أن امرأة قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : هل تغتسل المرأة إذا احتلمت ، وأبصرت الماء ؟ فقال : « نعم » فقالت لها عائشة : تربت يمينك وأُلَّتْ [يعني أصابتها الحربة] قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « دعيها ، وهل يكون الشبه إلا من قِبَلِ ذلك ، إذا علا ماؤُها ماءَ الرجل أشبه الولدُ أخوالَه ، وإذا علا ماءُ الرجل ماءَها أشبه أعمامَه ». رواه مسلم[2].

ورواه مسلم[3] من حديث أم سُليم رضي الله عنها ، وفيه قوله صلى الله عليه

---

(١) انظر : الإصابة في صحة حديث الذبابة (١٣٥ – ١٨٦) من الطبعة الأولى .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحيض : باب وجوب الغُسل على المرأة بخروج المني منها ، رقم (٣٣).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٠).

وآله وسلَّم : « ...فمن أين يكون الشبه ؟... » الحديث بطوله .

ورواياه[1] من حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ففيم يشبهُها ولدُها ؟ ».

وفي قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...وأما الولدُ فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدَ ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولدَ » قال : أشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأنك رسول الله . رواه البخاري[2].

وفي رواية أخرى له[3] قال عبد الله رضي الله عنه : ...ومن أيِّ شيء ينزع الولدُ إلى أبيه ، ومن أيِّ شيء ينزع الولدُ إلى أخواله ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « خبَّرني بهن آنفاً جبريل ».

قال عبد الله : ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...وأما الشبه في الولد ؛ فإن الرجلَ إذا غشي المرأةَ فسبقها ماؤُه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤُها كان الشبه لها » قال : أشهد أنك رسول الله . الحديث بطوله .

ففي هذه الأحاديث الشريفة وغيرها أمور ، يهمني منها ما يلي :

- إثبات الماء للمرأة ، وقد سبق بحثه فيما سبق .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب الحياء في العلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب (٥١) حدثنا حامد بن عمر ، وفي غيرهما .

(٣) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾.

ـ إثبات الشبه بين الولد وأبيه وأعمامه ، وبين الولد وأمه وأخواله ، وبينه وبين أجداده ،... قربوا أو بعدوا ،...

ـ بيان سبب الشبه بين الولد وأقاربه ـ البعيدين أو القريبين ـ من جهة أبيه أو أمه .

ـ سبب ذلك ؛ غلبة أحد الماءين بأوصافه ونزعه وتمكنه ، والله تعالى أعلم[١].

وقد يكون الشبه لقرابة بعيدة كأحد الأجداد أو الجدّات القدامى ونحوهم ، وهذا ما بيَّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال جاء رجل من بني فَزارَة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : إن امرأتي ولدت غلاماً أسود . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هل لك من إبل ؟ » قال : نعم . قال : « فما ألوانها ؟ » قال : حمر . قال : « هل فيها من أورق ؟ » قال : إن فيها لورقاً . قال : « فأنىٰ أتاها ذلك ؟ » قال : عسى أن يكون نزعه عِرقٌ . قال : « وهذا عسى أن يكون نزعه عِرقٌ ». متفق عليه[٢].

فقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وجودَ الشبه بين المولود وبين أحد أجداده ولو بعدوا ، وقرَّر هذه الحقيقة التي صرف بها هذا السائلَ عن الشك في زوجه ، وأعاده إلى حقيقةٍ يعلمها ، بعد تذكيره بها ، والله تعالى أعلم .

وقد جاء العلم الحديث ليبين سبب الشبه ، حسب قانون التوارث .

قال الدكتور محمود ناظم نسيمي رحمه الله تعالى[٣] : إن كل خلية ـ ذكر أو

---

(١) انظر : شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣ : ٢٢٣) وفتح الباري (٧ : ٢٧٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الطلاق : باب إذا عرَّض بنفي الولد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب اللعان ، رقم (١٨ – ٢٠).

(٣) الطب النبوي والعلم الحديث (٣ : ٣٦٩ – ٣٧١).

أنثى ـ تحتوي صبغيات ، ويحوي كلُّ صبغيٍّ على عدد هائل من المورثات ، وكلُّ صبغين متماثلين يحملان مورثات متناظرة للصفات نفسها ، أي إنه يوجد لكل صفة شَفْعٌ من المورثات ؛ إحداهما من الأب ، والأخرى من الأم ،...

إن تلك المورثات هي التي تحفظ التصميم ، وسجل السلف ، والخواص التي لكل مخلوق حي ، وهي التي تتحكم بالأطوار التي يمر بها الإنسان ، والمخلوقات الحية .

وقُبيل الانقسام المضغي الأول في الخلية الجنسية يحدث تزاوج بين الصبغيات المتماثلة ،... ومزج المورثات الآتية من الأم مع المورثات الآتية من الأب ، إذ إن كل صبغيٍّ في الشفع المتماثل آت من والد .

فنطفةُ الرجل وبيضةُ المرأة هما الناقلان للصفات الإرثية ، عن طريق المورثات الموجودة في الصبغيات ، فإذا غلبت مورثاتٌ من الأب نظيرتَها من الأم في الزيجة (البيضة الملقحة) كانت الصفات التابعةُ لهذه المورثات الموروثة عن الأب : الظاهرةَ في تخلق الجنين ، وتصويرِه من حيث صفاته الجسدية ،... الحاضرة والمستقبلية ، واستعداداته الفكرية والنفسية ، والعكس بالعكس .

وبما أن الأبَ والأمَّ يرثان عن آبائهم وأجدادهم الصفات الإرثيةَ ؛ فإنهما يُوَرِّثانها لنسلهم ، وهكذا قد يشبه الإنسان أحدَ أبويه ، أو أحدَ أجداده ، أو أحدَ أعمامه ، أو أحد أخواله ،...

فالعلوُّ والسبقُ في أحاديث البخاري ومسلم ـ فيما يتعلق بوراثة الشبه ـ إشارةٌ إلى ظهور الصفات الإرثية الراجحة والغالبةِ التي يرثها الجنين ، من جهة أبيه أو أمه أو كليهما .

كما أن بعضَ الصفات قد تكون كامنةً في أجيال ، ثم تتجلّى في أحد الأحفاد.اهـ.

فالمورثات إذاً هي المسؤولة عن المخلوقات ؛ من حيث تصميمها وخصائصها الفردية ، وأحوالها النفسية ، وألوانها ، وأجناسها ، وأطوارها التي تمر بها ،... وهي التي تحملها الصبغيات الجنسية (الكروموزومات).

وهي من الدقة والصغر بالأمر المتناهي ـ مما يدق على المجاهر العلمية ـ ولو جُمعت جميعُ المَوَرِّثات للبشر ، ووضعت في مكان واحد لما تعدى حجمُها بضع سنتمترات مكعبة ، فسبحان الله الخالق العظيم ، الذي أوحى إلى نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو النبيّ الأمي ، الذي لم يقرأ ولم يكتب ـ حتى أخبرنا بما سبق به البشريةَ بأكثر من ألف عام ، وبما تعجز عنه العقول ، والله تعالى أعلم .

١٣ ـ لكل داء دواء :

لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه ما من داء إلا له دواء وشفاء ـ إلا الهرم ـ ولذا حثَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم على التداوي من جميع الأمراض ، وهذه الأدويةُ قد تكون مشرطَ مِحجم ، أو كيةً بنار ، أو جرعةَ عسل ، أو استعمال عشبة من الأعشاب ، أو في حِمية معينة ،... أو دواء مفرد ، أو مركب ،...إلخ.

إن الأطباء يقولون : إن المرضَ هو خروج الجسم عن المجرىٰ الطبيعي ، والمداواةَ ردُّ الجسم إليه ، وحفظَ الصحة بقاؤُه عليه . فحفظها : يكون بإصلاح الأغذية وغيرها . ورد المرض : يكون بالموافق من الأدوية المضادة لذلك المرض[١].

وقد جاءت أحاديث نبوية كثيرة تتحدَّث عن الداء والدواء ، وأن لكل داءٍ

(١) المعلم بفوائد مسلم (٣ : ١٦٧) وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٤ : ١٩٢).

دواءً ـ إلا داء الهرم ـ وما الذي ينفع من الأدوية ،...إلخ، لذا حث صلى الله عليه وآله وسلَّم على التداوي ، وقد جُمعت في ذلك كتبٌ كثيرة .

وأقتصر على ذكر بعض الأحاديث الشريفة للتنبيه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما أنزل الله من داءٍ إلا أنزل له شفاءً ،... » الحديث ، رواه البخاري[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال : « لكل داءٍ دواءٌ ، فإذا أصيب دواءُ الداءِ ؛ بَرَأَ بإذن الله عز وجل ». رواه مسلم[2].

وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « تداوَوا ، فإن الله لم ينزل داءً إلا وقد أنزل له شفاء ـ وفي رواية : إلا وضع له دواءً ـ إلا السام والهرم ». رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة والحميدي والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبغوي والبيهقي ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء .

(٢) صحيح مسلم : كتاب السلام : باب لكل داء دواء ، واستحباب التداوي ، رقم (٦٩).

(٣) مسند أحمد (٤ : ٢٧٨) ومسند الحميدي (٢ : ٣٦٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٢) ومسند الطيالسي (١٧١ رقم ١٢٣٢) والأدب المفرد (١١٠ رقم ٢٩٢) وسنن أبي داود : كتاب الطب : باب في الرجل يتداوىٰ ، رقم (٣٨٥٥) وسنن الترمذي : كتاب الطب : باب ما جاء في الدواء والحث عليه ، رقم (٢٠٣٨) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ٣٦٨ - ٣٦٩) وسنن ابن ماجه : كتاب الطب : باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ، رقم (٣٤٣٦) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٤٢٦ ، ٤٢٨ - ٤٢٩) والمستدرك (٤ : ٣٩٩ ، ٣٩٩ - ٤٠٠) والمعجم الكبير (١ : ١٤٨ - ١٥١من طرق) والمعجم الصغير (١ : ٣٣٧) وتاريخ بغداد (٩ : ١٩٧) وشرح السنة (١٢ : ١٣٨ - ١٣٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٣٤٣) والتمهيد (٥ : ٢٨١ - ٢٨٢) وانظر مصباح الزجاجة (٤ : ٤٩) وفتح الباري (١٠ : ١٣٥).

والسام : يعني الموت .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن الله لم يُنزل داء إلا أنزل معه دواء ، جهله من جهله ، وعلمه من علمه ». رواه أحمد والحميدي والنسائي وابن ماجه ، في آخرين ، وصححه ابن حبان والحاكم والبوصيري ، وأقره الذهبي[1].

وهناك نصوص غيرها .

ففي هذه الأحاديث الشريفة أمور كثيرة ، يهمني منها ما يلي :

١ ـ إثبات عنصر الشفاء ، أو إنزال الدواء لكل داء ، ونزول ذلك يحتمل أمرين :

ـ إما إنزال علم ذلك على لسان الملَك للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مثلاً ،...

ـ أو أن يكون المراد بالإنزال : التقدير ، يعني ـ والله تعالى أعلم ـ أن الله تعالى قدَّر لكل داء دواءً فيه شفاء ، والله تعالى أعلم .

٢ ـ أن قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « جهله من جهله وعلمه من علمه » : فيه إشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كلُّ أحد ، وفيها كلها إثبات الأسباب .

---

(١) مسند أحمد (١ : ٣٧٧ ، ٤١٣ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٣) ومسند الحميدي (١ : ٥٠ رقم٩٠) ومسند الطيالسي (٤٨ رقم ٣٦٨) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ١٩٣ ، ١٩٤) وسنن ابن ماجه : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٤٣٨) والمستدرك (٤ : ١٩٦ - ١٩٧ ، ٣٩٩) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٤٢٧) وشرح معاني الآثار (٤ : ٣٢٦) وجامع مسانيد أبي حنيفة (٢ : ٣١١ ، ٣١٢) والتمهيد لابن عبد البر (٥ : ٢٨٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٣٤٣ ، ٣٤٥) والمعجم الكبير (١٠ : ٢٠٢) ومسند أبي يعلى (٩ : ١١٣) وانظر مصباح الزجاجة (٤ : ٥) وفتح الباري (١٠ : ١٣٥) ومجمع الزوائد (٥ : ٨٤).

٣ ـ قد لا ينفع الدواء ، بل قد يؤدي العكس ـ إذا قدَّر الله تعالى ـ وذلك إذا أخطأ الطبيبُ التشخيصَ ، أو وصفَ الدواء ، أو أخطأ الصيدليُّ في إعطائه ، أو أخطأ المريضُ في تناوله ،...إلخ.

٤ ـ أن الأدوية لا تنفع بذاتها ، إنما هو بتقدير الله عز وجل ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « بإذن الله » فمدارُ ذلك كله على تقدير الله عز شأنه وإرادته .

٥ ـ أن ما في هذه الأحاديث يفتح الأمل أمام المرضىٰ ، ويجعل الرجاء قائماً دائماً ، حتى لا يتسرب إليهم اليأس ، فيستمروا في البحث عن علاجٍ يكون فيه الشفاء ، ويبقى الأملُ قائماً بوجود الدواء بأنواعه ، وأن الله تعالى قادرٌ على أن يهيئ لهم الوقتَ المناسب للعثور على تلك الأدوية .

٦ ـ فتح باب الأمل دائماً أمام الباحثين والعلماء من ناحية أخرى ، كي يستمروا في البحث ، ويطوِّروا تجاربهم وأبحاثهم ،... ويضاعفوا جهودهم ، حتى يتوصَّلوا إلى الدواء المنشود .

٧ ـ الحث على التداوي ،... والاستمرار في البحث عن العلاج ، وعدم القنوط واليأس من عدم وجود الدواء ، حتى في الأمراض التي لم يتوصل إلى معرفة العلاج لها .

٨ ـ لهذا نرى المراكز الطبية في الجامعات وغيرها ، شرقاً وغرباً ؛ من اليابان فالصين حتى أوربا وأمريكا وكندا ، مروراً بالدول الإسلامية تسعى جاهدةً للعثور على أدوية للأمراض التي لم يُتوصَّل إلى علاج لها .

ومنذ أيام أعلن عن اكتشاف علاجٍ للجلطة التي تقع في المخ ، عن طريق

(أشعة الليزر) كما ذكرته إذاعة لندن .

٩ ـ إن الدواء لا يختص بصفة معينة ، ولا بكيفية معينة ، ولا بوصفة معينة ،... فقد يكون مركّباً كيماويّاً ، وقد يكون عشبةً من الأعشاب ، وقد يكون رقيةً من الرقىٰ ، والله تعالى أعلم .

١٠ ـ الإخبار عن وجود الدواء لجميع الأمراض والأدواء ، إلا الموت والهرم ، فلا قدرة للإنسان على إعادة الحياة لميت ، كما لا وجود لدواء لإعادة الشباب لهَرِم دنف فانٍ .

وفي هذا إشارة إلى أمراض الشيخوخة ، التي بدأت تقض مضاجع الغرب في هذا الزمان ، والله تعالى هو الحافظ .

اللهم احفظنا فيما بقي من العمر ، ولا تردنا إلى أرذله ، واحفظنا في أسماعنا وأبصارنا وقواتنا وعقولنا ، واجعلها الوارث منا يا كريم .

١١ ـ وهكذا نرى هذه الحقيقية العلمية بارزةً ، ولو لم تكن كذلك ؛ لما وجدنا تلك المراكز العلمية المنتشرة في العالم ، واستمرار البحوث في المختبرات ؛ على الحيوان ؛ من الفئران والأرانب ثم القرود ، وأخيراً على الإنسان ، والعلماء في بحث مستمر ، وتجارب دائمة ، للعثور على ما خفي من علاج للأمراض .

وكم من مرض عضال كان يفتك بالناس ، قد عثر على أمصال ، أو أدوية ،... مزيلة أو مقلِّلة له ،... فانقطع من الأرض أو كاد ، وإن كان بعضُها لم يزل ، ويظهر بين فترة وأخرى ، والله تعالى المستعان .

وكلما اكتُشف مرض جديدٌ ـ وما أكثرها في هذا الزمان[1] ـ تداعى العلماء على

(١) انظر الأصل والعلوم والإيمان تحت عنوان : (ظهور الأمراض التي لم تكن موجودة فيمن سبق بعد تفشي الفاحشة).

البحث ، للتوصل إلى حقيقته ، ولوجود العلاج المناسب له ، والله تعالى أعلم .

١٤ ـ موافقة الدواء الداء :

لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الله تعالى إذا أراد شفاءَ مريض ما جعله يتناول الدواءَ المناسب لدائه ، فيبرأ بإذن الله تعالى .

وقد مر في الفقرة السابقة قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كما في حديث جابر رضي الله عنه ـ : « ...فإذا أُصيب دواءُ الداءِ ؛ بَرَأ بإذن الله عز وجل ». رواه مسلم .

والحديث واضح في بيانه . وذلك :

ـ إذا كان الطبيب قد شخَّص المرَض بدقة ،... وعرف دواءَه بدقة ، وصرفه الصيدليُّ بدقة ، وتناوله المريضُ حسب الوصفة الطبية ، وشاء الله تعالى إبراءَه ، فوافق ذلك الدواءُ الداءَ نفسَه ، برأ المريض من ذلك المرض بإذن الله تعالى .

ـ وأما إذا لم يرد الله تعالى شفاءَ ذلك المريض ، أو لم يكتب له ذلك : جعل الطبيبَ يُخطئ في التشخيص ، أو في وصف الدواء ،... أو يُخطئ الصيدلي في إعطاء الدواء ، أو يُخطئ المريض في تناوله ،... وهكذا ، وهذا ما تنبه إليه علماء الأمة من قبل .

قال الإمامُ المازريُّ رحمه الله تعالى[1] : قال بقراط : الأشياء تُداوىٰ بأضدادها ، ولكن قد تدق وتغمض حقيقةُ المرض ، وحقيقةُ طبع العقار والدواء المركب ، فتقل الثقةُ بالمضادة التي هي الشفاء ، ومن هٰهنا يقع الخطأ من الطبيب ،... فقد يظن العلمَ عن مادة حارة ، فيكون عن غير مادةٍ أصلاً ، أو عن مادة باردة ، أو عن مادة حارة دون الحرارة التي قدَّر ، فلا يكون الشفاء .

---

(١) المعلم (٣ : ١٦٧ – ١٦٨) ونقله الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٤ : ١٩٢).

فكأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم نبَّه بآخر كلامه : على ما قد يعارض به أوله .

فيقال : أنت قلت : « لكل داء دواء » ونحن نجد كثيراً من المرضىٰ يداوَون فلا يبرؤون ؟

فنبَّه على أن ذلك لفقد العلم بحقيقة المداواة ، لا لفقد الدواء.اهـ. وهذا واضح ، والله تعالى أعلم .

وقال الإمامُ القرطبيُّ رحمه الله تعالى في المفهم[1] : إن الله تعالى إذا شاء الشفاءَ يسَّر دواءَ ذلك الداء ، ونبَّه عليه مستعملَه ، فيستعملُه على وجهه ، وفي وقته ، فيشفىٰ ذلك المرض .

وإذا أراد إهلاكَ صاحب المرض : أَذهل عن دوائه ، أو حجبه بمانع يمنعه ، فهلك صاحبُه ، وكل ذلك بمشيئته وحُكمه ، كما سبق في علمه .

ولقد أحسن من الشعراء من قال في شرح الحال :

وَالـناسُ يَلْحَـوْنَ الطَّبِـيبَ وَإِنَّـما غَلَـطُ الطَّبِيبِ إِصـابَةُ المَقْـدورِ.اهـ.

فالشفاء : متوقفٌ على إصابة الدواء الخاص بالمرض ، ويكون بإذن الله تعالى ، لكن إذا جاوز الحد في الكيفية ، أو في الكمية ، فلا ينجع ، بل ربما أحدث داءً آخر .

وكذا ما يقع لبعض المرضىٰ ؛ أنه يتداوىٰ من داء بدواء معين ، فيبرأ بإذن الله تعالى ، ثم يعتريه ذلك الداء - فيما يراه - بعينه ، فيتداوىٰ بذلك الدواء بعينه ، فلا ينجع . والسبب في ذلك : الجهل بصفة من صفات الدواء ، فربَّ مرضين تشابها ، ويكون أحدهما مركباً ؛ لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركباً ، فيقع الخطأ من هنا ، وقد يكون متحداً ؛ لكن يريد الله تعالى ألّا ينجع فلا ينجع ، ومن هنا

---

(١) المفهم (٥ : ٥٩٣).

تخضع رقاب الأطباء ، كما قال الحافظ ابنُ حجر رحمه الله تعالى[1] .

وهذا هو المشاهد ، فإذا شخص الطبيبُ المرضَ بدقة ، ووصف الدواء بدقة ، وصُرِف بدقة ، واستعمله المريضُ بدقة ، وشاء الله تعالى شفاءَه ، برأ بإذن الله تعالى .

وأما إذا لم يُرد الله تعالى شفاءَه ، يجعل الطبيب يخطئ في التشخيص ، أو في وصف الدواء ، أو يخطئ الصيدلي في صرفه ، أو يخطئ المريض في تناوله ، لذا لا يبرأ ، والله تعالى أعلم .

وقد حدث هذا معي ومع غيري ، بل مع كثيرين ، لذا كثر في الأزمنة المتأخرة استعمالُ الأشعة والتحاليل ،... كل ذلك من أجل الدقة في التشخيص ، وعدم الوقوع في الخطأ . فإن وافق الدواء الداء برأ بإذن الله تعالى ، وإلا لا .

وهذا سبق علميٌّ ، فمن أخبر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو النبيُّ الأُمِّيُّ ؟ لكنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لا ينطق عن الهوىٰ ، إنما هو الوحي ، الذي أوحاه الله تعالى إليه ، وخصه به .

فصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

١٥ ـ إطفاء الحمّىٰ بالماء :

لم يعرف الناس (الكمّادات) لتخفيف ارتفاع درجة الحرارة إلا في العصور المتأخرة ، بينما عرفها المسلمون منذ زمن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم حث المسلمين على استعمالها .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) فتح الباري (١٠ : ١٣٥ – ١٣٦).

وسلَّم قال : « الحمّىٰ من فيح جهنم ، فأبردوها في الماء ». متفق عليه[1].

وقد ثبت نحو هذا عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، في الصحيحين أو أحدهما أيضاً .

وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بنفسه ؛ غسلاً بماء بارد[2] أو مسحاً باليد ، كما استعمله بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضاً بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم[3].

وقد جاء العلم الحديث ليكشف لنا فوائد استعمال الكمّادات ، والمغاطس ، لتخفيف ارتفاع درجة الحرارة .

قال الدكتور محمود ناظم نسيمي رحمه الله تعالى[4] : إن الأدوية النوعية المضادّة لعوامل الحُمِّيات الإنتانية ؛ لم تُعرف قبل القرن التاسع عشر الميلادي ، وعلى أن مخفِّضات الحرارة الشديدة في الطب الحديث والتي اكتُشفت باكراً ـ كالكينين (١٨٢٠م) والأسبرين (١٨٩٩م) ـ لم تنتشر في العالم قبل ذلك القرن ، ولذا كان استعمال الماء لتبريد الحمىٰ هو الواسطة الأولى.اهـ.

ثم ذكر رحمه الله تعالى أهمَّ طرق التبريد بالماء المستعملة في الطب الحديث ، فذكر اللف بالكمّادات الباردة ، والحمام البارد ، ومغطس الماء البارد ،...إلخ.

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب صفة النار ، وكتاب الطب : باب الحمى من فيح جهنم . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب لكل داء دواء ، واستحباب التداوي ، رقم (٧٨ – ٨٠).

(٢) انظر : صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح ،... وفي غيرهما . حيث اغتسل صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في مرضه ـ من سبع قِرَب لم تُحلل أوكيتُهُن .

(٣) انظر : حديثَ ابن عباس رضي الله عنهما مثلاً : صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب صفة النار .

(٤) الطب النبوي والعلم الحديث (٣ : ٢١٠ – ٢١٦).

قلت : وكل ذلك كان موجوداً من قَبلُ عند المسلمين ، وقد استعمله النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا زال موجوداً في المستشفيات إلى اليوم ، وأنه في أحيان كثيرة هو خير خافض لارتفاع درجة الحرارة عند بعض المرضىٰ ؛ خاصة عند ارتفاعها جدّاً ـ بعد ٣٩ْ ـ فالأطباء يُلزمون بها ، لأن في وضعها على الجبهة والكتفين والذراعين والأرجل تخفيفاً لدرجة الحرارة على الجلد ، الذي تنعكس على الداخل ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وصحابته الكرام المبجلين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً بقدر محبته تعالى له ، وحشرنا معه ، وسقانا من حوضه المنيف شربة هنيئة مريئة ، بيده الكريمة ، لا نظمأ بعدها أبداً يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

الخاتمة، أحسن الله ختامنا جميعًا

إن الذي ذكرته في هذه الرسالة يدلُّ دلالةً صريحةً واضحة على أن السنةَ النبويةَ الشريفةَ ليست من واقع البشر ؛ إنما هي وحيٌ أوحاه الله تعالى إلى النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ـ فالقرآن الكريم بآياته المتعددة دلَّ على أن ما ينطق به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هو وحي ، لأنه لا قدرة للإنسان على القول بما يخفى عليه .

ـ كما أن النصوص الكريمةَ الكثيرة من السنة النبوية تدل على أن ما قاله صلى الله عليه وآله وسلَّم ونطق به ليس من اجتهاد البشر ، فهو فوق قدرتهم ، ولا مسرح لهم فيه .

ـ كما أن الدلائل النبوية الشريفة ـ سواء ما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الماضي السحيق ، أو الغيب المستقبلي البعيد ، أو ما نطق به مما هو متعلق بالموجودات في زمانه صلى الله عليه وآله وسلَّم وتحقق بعد عصره صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... كل ذلك يدل على أن ما نطق به ليس من اجتهاد البشر ، ولا للعقل فيه مسرح ، إنما هو الوحي الرباني .

ـ فإذا أضيف إلى ذلك العدد الكبير من الأحاديث التي قالها صلى الله عليه وآله وسلَّم قبل أكثر من ألف عام وهي تتحقق في هذا الزمان ، مما يدل على أن ما قاله ونطق به صلى الله عليه وآله وسلَّم ليس من اجتهاد البشر ، ولا للعقل فيه مسرح ، إنما هو الوحي الرباني .

ومن هنا يتضح أن السنة النبوية وحي ، وهذا مما امتاز به صلى الله عليه وآله وسلَّم عن سائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، مع اختلاف الوحيين ، فهو

وحي غير متلو ولا معجز ولا متعبد بتلاوته ، بخلاف وحي القرآن الكريم ، وهذا ما أعطيه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كما في حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه ـ : « ألا إني أُعطيتُ القرآنَ ومثله معه ». رواه أحمد وأبو داود وغيرهما[1].

لذا يلزم العناية بهذا الموضوع بشكل أوسع ، وهذا ما قد فعلته في (السنة النبوية وحي) حيث :

أ ـ جمعت الآيات الدالة على أن السنة النبوية وحي .

ب ـ جمعت الأحاديث النبوية الدالة على أن السنة النبوية وحي .

جـ ـ جمعت دلائل النبوة الدالة على أن السنة النبوية وحي .

د ـ رددت شبه القرآنيين من واقع القرآن الكريم والعقل والمنطق ، كما فعلتُ في (شبهات حول السنة ودحضها).

هـ ـ إظهار مكانة السنة النبوية ومنزلتها من الدين ، وقد فعلت ذلك في (نشأة علوم الحديث). وغيره .

و ـ لما كانت السنة النبوية من الوحي تحقّق فيها ما تحقق في كتاب الله تعالى ؛ من الحفظ والضبط والإتقان ، ولله الحمد والفضل والمنة ، ذلك لأن الله تعالى تكفل بحفظ الذكر ، كما قال جل شأنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ والذكر : قرآن وسنة ، كما مر في الفصل الثاني .

ولهذا ألهم الله تعالى سلفَ هذه الأمة ؛ من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ،...

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٣٠ – ١٣١) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في لزوم السنة ، رقم (٤٦٠٤) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٨٧) وصحيح ابن حبان (١ : ١٠٧) وشرح معاني الآثار (٤ : ٢٠٩) والشريعة (١ : ٤١٥ – ٤١٦) وشرح السنة (١ : ٢٠١) والتمهيد (١ : ١٤٩ – ١٥٠) وذم الكلام (٢ : ١٣٤ – ١٣٥) والسنن الكبرى (٩ : ٣٣٢) ودلائل النبوة (٦ : ٥٤٩) والمعجم الكبير (٢٠ : ٢٨٣) ومسند الشاميين (٢ : ١٣٧).

من القيام بجهود جبارة ؛ تنوء بها الجبال ، ولكن الله تعالى أعانهم وقوّاهم ـ فله الفضل والمنة ـ للحفاظ على السنة وجمعها وتدوينها وتبويبها وتهذيبها ، ونفي الدخيل الذي حاول المغرضون إلحاقه بها ،...

ز ـ وبناء على ما مر وغيره جزم الصحابةُ ومَن بعدهم رضي الله تعالى عنهم ونصّوا على وجوب الاعتماد على السنة النبوية مع القرآن الكريم ، لأن في ذلك تحقيقَ أمر الله تعالى في عطفه لفظ (الرسول) على لفظ الجلالة (الله) في الإيمان والطاعة ، وقد فعلت ذلك في (بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة).

حـ ـ ويتضح مما سبق مكانة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتميزه عن غيره من الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وعناية الله تعالى به .

ط ـ ثم مكانة هذا الدين الكريم الذي جعله الله تعالى دينَه ، ولم يقبل من الخلق سواه .

ي ـ ولعلنا نعلم هذا السر في اختصاص هذا الدين وتقديمه ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

وكتب

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلّا خاطر العزَّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

مصادر الرسالة

ـ القرآن الكريم .
ـ الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ السيوطي ، بيروت .
ـ الآحاد والمثاني ، لابن أبي عاصم ، ت باسم الجوابرة ، الرياض .
ـ الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم ، بيروت .
ـ الأدب المفرد ، للبخاري ، طبع عالم الكتب ، بيروت .
ـ الإصابة في معرفة الصحابة ، للحافظ ابن حجر ، القاهرة .
ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، جدة .
ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه ، خليل إبراهيم ملا خاطر (مخطوط).
ـ الأمانة العظمى ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، جدة .
ـ الأم ، للإمام الشافعي . ط كتاب الشعب ، مصر .
ـ أمية النبي المصطفى الكريم ﷺ ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، جدة .
ـ البحر الزخار ، للبزار ، ت محفوظ الرحمٰن زين الدين .
ـ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، طبع الخانجي ، مصر .
ـ التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ تفسير الطبري ، نسخة دار المعارف ، القاهرة .
ـ تفسير القرطبي = جامع أحكام القرآن ، نشر دار الكتاب العربي ، القاهرة .
ـ تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت .
ـ التلخيص الحبير ، للحافظ ابن حجر ، نشر السيد عبد الله يماني .
ـ التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، نشر وزارة الأوقاف بالمغرب .
ـ جامع مسانيد أبي حنيفة ، للإمام الخوارزمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ـ جماع العلم ، للإمام الشافعي . بحاشية كتاب الأم .
ـ حلية الأولياء ، للحافظ أبي نعيم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
ـ الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ خصائص علي بن أبي طالب ، للنسائي ، ت أحمد ميرين البلوشي ، مكتبة المعلا ، الكويت .
ـ الخصائص الكبرى ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، د محمد علي البار ، جدة .
ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر .
ـ دلائل النبوة ، للإمام البيهقي . ت الدكتور عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ دلائل النبوة ، لأبي نعيم ، ت د. محمد رواس القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ دو إسلام ، للدكتور غلام جيلاني برق (بالأوردو) باكستان .
ـ دورة الأرحام ، للدكتور محمد علي البار ، جدة .
ـ ذم الكلام وأهله ، للحافظ الهروي ، ت عبد الله الأنصاري ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة .
ـ الرسالة ، للإمام الشافعي ، ت الشيخ أحمد شاكر ، القاهرة .
ـ الروض الأنف ، للإمام السهيلي ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة .
ـ رياض الصالحين ، للإمام النووي ، ت عبد العزيز رباح ، وأحمد الدقاق ، نشر دار المأمون للتراث ، دمشق .
ـ الزاهر ، لابن الأنباري ، ت الدكتور حاتم الضامن ، دار الرشيد ، بغداد .
ـ السنة ، لابن أبي عاصم ، ت الدكتور باسم الجوابرة ، دار الصميعي ، الرياض .
ـ السنة النبوية وحي ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ سنن الترمذي ، ت الشيخ أحمد شاكر وآخرين ، بيروت .

ـ سنن الدارمي ، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني . المدينة المنورة .
ـ سنن أبي داود ، ت الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة .
ـ سنن الدارقطني ، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني . المدينة المنورة .
ـ السنن الكبرى ، للإمام البيهقي . ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ السنن الكبرى ، للنسائي . ت ، د عبد الغفار ، وسيد ، بيروت .
ـ سنن ابن ماجه ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة .
ـ سنن النسائي ، بحاشيتي السيوطي والسندي .
ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الروض الأنف .
ـ شبهات حول السنة ودحضها ، خليل إبراهيم ملا خاطر . دار القبلة .
ـ شرح السنة ، للإمام البغوي . نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، مطبعة حجازي ، القاهرة .
ـ شرح مشكل الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط .
ـ شرح معاني الآثار ، للإمام الطحاوي . ت محمد زهري النجار .
ـ الشريعة ، للإمام الآجري . ت الدكتور عبد الله الدميجي ، نشر دار الوطن ، الرياض .
ـ الشمائل المحمدية ، للترمذي ، ت سيد الجليمي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ الشمائل المحمدية ، لابن كثير ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
ـ الصحاح ، للجوهري . ت الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت .
ـ صحيح البخاري . طبعة اسطنبول ، وبشرح الفتح .
ـ صحيح ابن حبان ، ت الشيخ شعيب أرنؤوط ، مؤسسة الرسالة .
ـ صحيح ابن خزيمة ، ت ، د مصطفى الأعظمي . المكتب الإسلامي .
ـ صحيح مسلم . ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة .
ـ الطب النبوي والعلم الحديث ، د محمود ناظم نسيمي ، الشركة المتحدة .
ـ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ت . د إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، جدة .
ـ علم الأجنة في القرآن والسنة ، هيئة الإعجاز العلمي ، مكة المكرمة .
ـ العلوم الإيمان ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة .
ـ فتح الباري ، للحافظ ابن حجر ، طبع المكتبة السلفية ، القاهرة .
ـ فتح القدير ، للشوكاني ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، جدة .
ـ الفوائد ، لتمام ، ت حمدي السلفي ، مكتبة الرشد ، الرياض .
ـ القاموس المحيط ، للفيروزأبادي . مطبعة السعادة ، مصر .
ـ كشف الأستار بزوائد البزار ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة .
ـ كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، مكتبة المثنىٰ ، بيروت .
ـ كنز العمال ، للمتقي الهندي ، نشر مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .
ـ لسان العرب ، لابن منظور . دار صادر ودار بيروت .
ـ مجلة الإعجاز العلمي (العدد الرابع).
ـ مجمع الزوائد ، للحافظ الهيثمي ، دار الكتاب ، بيروت .
ـ المجموع ، للإمام النووي . ت محمد نجيب المطيعي . مصر .
ـ مختصر المستدرك ، للحافظ الذهبي ، بحاشية المستدرك .
ـ المستدرك ، للحاكم ، تصوير أمين دمج ، بيروت .
ـ مسند أحمد ، للإمام أحمد بن حنبل . تصوير المكتب الإسلامي .
ـ مسند الحميدي ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، باكستان .
ـ مسند الإمام الشافعي ، ط بيروت ، وهو تحت الطبع بتحقيقي .
ـ مسند الشاميين ، للإمام الطبراني . ت الشيخ حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة .
ـ مسند الطيالسي ، تصوير دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق ، بيروت .

ـ مسند أبي يعلى ، ت الأستاذ حسين الأسد ، دمشق .
ـ مصباح الزجاجة ، للإمام البوصيري ، ت محمد المنتقى الكشناوي ، الدار العربية ، بيروت .
ـ مصنف ابن أبي شيبة ، نشر الدار السلفية ، الهند .
ـ مصنف عبد الرزاق ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، بيروت .
ـ مع رسول الله ﷺ في رمضان ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ مع الطب في القرآن الكريم ، د عبد الحميد دياب ، ود أحمد قرقوز .
ـ معجزة القرن العشرين ، الدواء العجيب ، حلب .
ـ المعجم الأوسط ، للطبراني ، نشر دار الحرمين ، القاهرة .
ـ المعجم الصغير ، للإمام الطبراني ، ت محمد شكور مرير ، عمّان .
ـ المعجم الكبير ، للإمام الطبراني . ت الشيخ حمدي السلفي ، بغداد .
ـ معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ت الأستاذ عبد السلام هٰرون .
ـ معرفة الصحابة ، للحافظ أبي نعيم ، ت محمد راضي حاج عثمان ، مكتبة الدار .
ـ المعلم بفوائد مسلم ، للإمام المازري ، ت الشيخ الشاذلي النيفر ، الدار التونسية ، تونس .
ـ المغرب ، للإمام المطرزي . ت محمود فاخوري ، حلب .
ـ المفهم ، للإمام القرطبي ، ت محيي الدين مستو وآخرين ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ، دمشق .
ـ مناهل العرفان ، للعلامة الزرقاني . ط القاهرة .
ـ المنتقى ، لابن الجارود ، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .
ـ المهذب في اختصار السنن ، للحافظ الذهبي ، ت دار المشكاة للبحث العلمي ، نشر دار الوطن ، الرياض .
ـ الموطأ للإمام مالك ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة .

ـ نشأة علوم الحديث ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ نصب الراية ، للإمام الزيلعي . ط القاهرة .
ـ الوجيز في علم الأجنة القرآني ، د محمد علي البار ، جدة .

☆☆☆☆☆

فهرس الرسالة



قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ ـ المدرسة المدنية :

١ ـ الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وآله وسلَّم عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ عظيم قدره صلى الله عليه وآله وسلَّم ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة العاشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات .

٣ ـ شمائل الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلَّم (تحت الطبع).

٤ ـ سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ العهد المكي ـ كما وردت في كتب السنة .

٥ ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦ ـ فضائل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧ ـ الأمانة العظمى ونبيها صلى الله عليه وآله وسلَّم ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

٨ ـ الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من الجذع إلى ثوبان .

٩ ـ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في رمضان (تحت الطبع).

١٠ ـ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١ ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢ ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة ، بجدة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣ ـ فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة . نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٥ ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ ـ أمية النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والرد على منكريها ، نشر دار القبلة .
١٨ ـ مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بين الأنبياء عليهم السلام . طبع مطابع الرشيد .
١٩ ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).
٢٠ ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثانية . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٢١ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).
٢٢ ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٢٣ ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).
٢٤ ـ الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلَّم (تحت الطبع).
٢٥ ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).
٢٦ ـ الحب المتبادل (بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين المدينة المنورة) نشر دار القبلة .
٢٧ ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

٢٨ ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).
٢٩ ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه ، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية .
٣٠ ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض .
٣١ ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي . طبعة ثانية ، دار القبلة .
٣٢ ـ مناقب الإمام الشافعي ، لابن الأثير ، وهو من كتابه الشافي ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .
٣٣ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي ، لابن الأثير (تحقيق ، تحت الطبع).
٣٤ ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٣٥ ـ السنن للإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٣٦ ، ٣٧ ـ المسند للإمام الشافعي ، ومعه شافي العي ، للحافظ السيوطي (تحقيق).
٣٨ ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث ، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى .
٣٩ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض .
٤٠ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).
٤١ ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

ج ـ علوم الحديث رواية :

٤٢ ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .
٤٣ ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .
٤٤ ـ شرح أربعين حديثاً ـ مكتوب على الآلة الكاتبة .
٤٥ ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .
٤٦ ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق (تحت الطبع).
٤٧ ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٤٨ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة .
٤٩ ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .
٥٠ ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).
٥١ ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة .
٥٢ ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .
٥٣ ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث ، وطبع منه :**

٥٤ ـ الحديث المتواتر .
٥٥ ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولى .

٥٦ ـ الحديث المعلل ، طبعة ثانية ، نشرتها كلها دار الوفاء ، بجدة .

٥٧ ـ مقدمة شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، شرح وتعليق ، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .

٥٨ ـ الإسناد من الدين ، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).

٥٩ ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).

٦٠ ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٦١ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .

٦٢ ـ مشروعية صيام ست من شوال ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٦٣ ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ بين الإنسان والجماد :

٦٤ ـ الإدراك عند الجمادات .

٦٥ ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .

٦٦ ـ شوق الجمادات واستجابتها له صلى الله عليه وآله وسلَّم .

٦٧ ـ محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ز ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٦٨ ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٦٩ ـ حقوق الزوجين .

٧٠ ـ المرأة في القرآن .

٧١ ـ الإحسان في القرآن .

٧٢ ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ، ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٧٣ ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٧٤ ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

ح ـ الفتن وأشراط الساعة :

٧٥ ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة .

٧٦ ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٧٧ ـ أشراط الساعة .

٧٨ ـ مختصر أشراط الساعة ، نشر دار القبلة .

٧٩ ـ أخبار الدجال .

٨٠ ـ الردة قديمها وحديثها .

٨١ ـ المسيح عليه السلام ، قطعية رفعه ، وتواتر نزوله .

☆☆☆☆☆